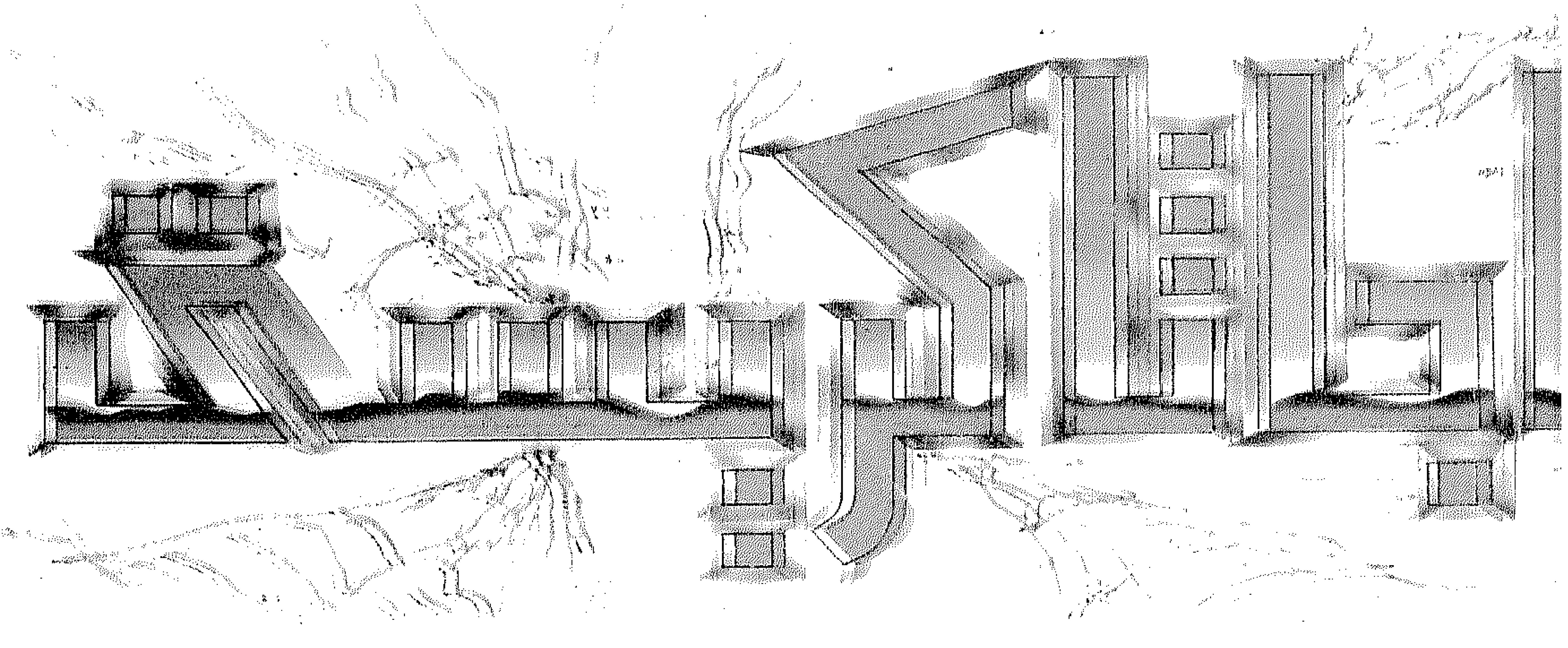
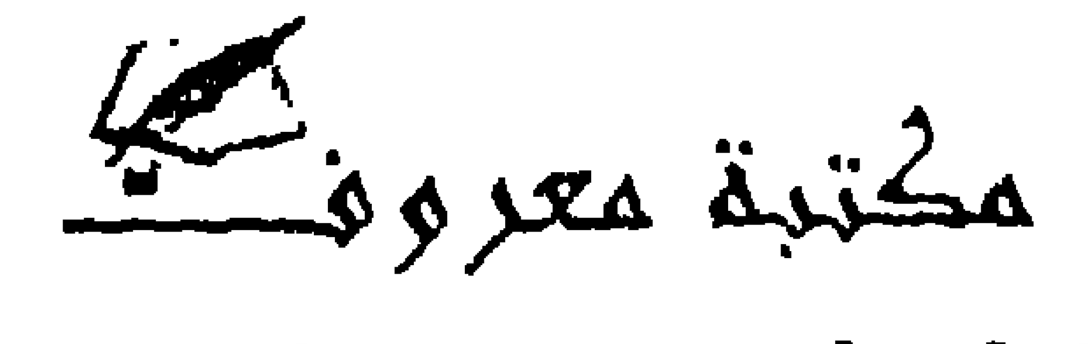


منحة 2006
SIDA
السويد

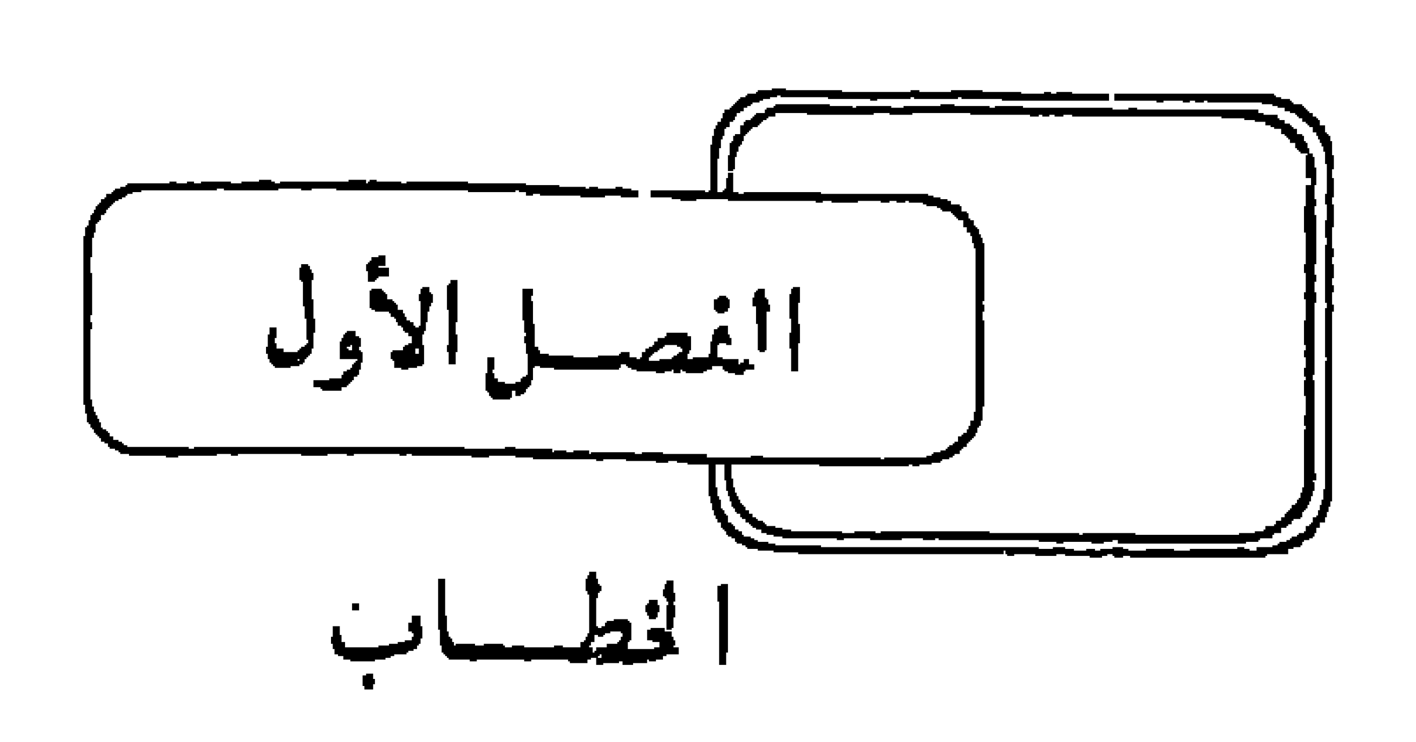
اجاثا كريستى

مغامرات بوارو

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال



الاسكندرية : ٤٨١٠٨٣٨ ، ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٧٠ الاسكندرية



الخطاب

هبطت من الباخرة إلى إنجلترا فى أحد أيام شهر يونية سنة ١٩٣٥ لتمضية بضعه شهور فيها . ولم نكن قد نجونا من الأزمة العالمية كغيرنا . فعهدت بمزرعتنا فى أمريكا الجنوبية إلى زوجتى وقدمت إلى أوروبا لتسوية بعض المسائل الخاصة .

وغنى عن البيان أن أقول أن أول زيارة لى كانت لصديقى الحميم هركيول بوارو ، وكان يقيم فى شقة مفروشة بمسكن حديث مبنى على أحدث طراز . وأردت مداعبته فعتبت عليه إختياره لهذا المسكن بسبب شكله الهندسى فقال :

- اننى أوافقك يا عزيزى . ولكن لماذا لا يروقك هذا التناسق ؟

أجبته بأننى أراه كثير الزوايا . وتذكرت احدى دعاباته القديمة فسألته إذا كانت الدجاجات فى هذا البيت تبيض بيضا مربعاً فضحك من قلب خلى وقال :

- آه .. أمازلت تتذكر هذه المزحة ؟ ... كلا للأسف فإن العلم لم يتمكن بعد من حمل الدجاج على أن ينتج لنا بيضا بأحجام وألوان مختلفة .

وتأملت صديقى فوجدته يزخر صحة وعافية . لم يظهر عليه الكبر منذ أن تركته تقريباً . وقلت :

- بوارو .. يبدو أنك تتمتع بصحة جيدة . بل أراك تبدو أصغر سنا ، وأستطيع أن أقول أن الشيب لم يدب إلى شعرك بعد .

تألق وجه بوارو بابتسامة وقال : هذا صحيح .

- هل تزعم أن شعرك يزداد سواداً بدلا من أن يشيب ؟

- هو ذلك .

- ولكن هذا غير ممكن علميا .

- بل ممكن .

- هذه ظاهرة غريبة على كل حال ، وضد الطبيعة .

- مازلت ساذجا كسابق عهدى لك ياهاستنجز ، ولم تغيرك السنون .. إذا ما أدهشك أمر فإنك تعطيه الحل الذى يرضيك دون أن تحاول معرفة السبب .

ذهلت وحدقت فيه . ومن غير أن ينطق مضى إلى غرفة نومه وعاد بعد لحظة وفى يده قنينة بها سائل ما كدت اراه حتى ضحكت وقلت :

- هل تصبغ شعرك ؟

- هأنت قد فهمت أخيراً .

- هذا هو السبب إذن فى أننى أرى شعرك أشد سوادا عنه قبل رحيلى من انجلترا .

وغيرت مجرى الحديث عندئذ فسألته إذا كان لا يزال يزاول نشاطه وقلت : أعرفك أنك تقاعدت منذ بضعة أعوام .

- آه . هذا صحيح ... لكنى أعنى بزراعة الكرنب ! ... ولكن إذا عرضت علىّ جريمة مثيرة فلن أحفل عندئذ بالكرنب . وأظن أنك ستقارن بينى وبين البريمادونا التى اذا ما بلغت السن التى يجب أن تعتزل فيها أقامت حفلة الوداع الأخيرة مرات لا تحصى .

ضحكت فى حين عاد هو يقول : هذا هو ما حدث بالنسبة لى ، فقد كنت أقول لنفسى بعد كل قضية : هذه هى القضية الأخيرة ، ولكن لا تلبث أن تقع جريمة جديدة . وأعترف يا صديقى أنه لا يحق لى أن أشكو فإن خلايا مخى إذا لم تزاول نشاطها لا تلبث أن يعلوها الصدأ .

- آه ... فهمت أنك تلجأ الى العمل لكى تعمل خلايا مخك باعتدال .

- تماما ، وأنا الآن لا أهتم الا بالقضايا المثيرة .

- ولكن هل هناك جرائم مثيرة ؟

- طبعا ، وقد نجوت أخيراً بأعجوبة .

- هل فشلت ؟

أجاب بوارو فى استياء : كلا . ولكن كدت أنا ، هركيول بوارو ، أن أموت .

أطلقت صفيراً خافتا وقلت : لا ريب أن القاتل كان شجاعاً .

- بل كان متهورا يا صديقى . ولكن دعنا من هذا الآن . هل تعلم يا هاستنجز أننى أعتبرك تعويذتى .

- حقاً ؟ ... وكيف هذا ؟

ولكنه لم يرد على مباشرة وإنما قال :- ما إن علمت بقدومك حتى قلت لنفسى لابد أن شيئاً ما سوف يقع . وأننا سننطلق للصيد معا كما كنا نفعل فى الماضى . ولكننا لن نقنع بجريمة عادية . ولابد لنا من جريمة نادرة ... غريبة ... لا مثيل لها .

- يبدو لى يابوارو أنك تطلب صنفا معينا من الطعام من فندق ريتز .

- مع فارق بسيط وهو أننا لا نستطيع أن نطلب جريمة معينة .

وتنهد وقال : ومهما يكن فاننى أومن بالحظ ، أو اذا اردت بالقدر . والقدر يضعك أنت يا ها ستنجز . بجوارى لكيلا أقدم على حماقة لا تغتفر .

- ماذا تعنى بحماقة لا تغتفر ؟

- هو أن لا أرى ما هو ظاهر للعيان .

وأخذت أقلب كلماته على كل وجوهها دون أن أفهم لها معنى وقلت أخيراً : حسنا وهل وقعت على هذه الجريمة العجيبة . النادرة ؟

ليس بعد مالم ...

وأمسك ، وقطب حاجبيه . وكنت قد نقلت تحفتين من مكانهما دون أن أدرى . فأعادهما إلى وضعهما الأول وقال فى بطء : حتى الآن لا أستطيع القول .

وكانت لهجته غريبة بحيث رفعت عينى إليه فوجدته لا يزال مقطبا ، وفجأة اجتاز الغرفة وأسرع الى مكتبه بجوار النافذة ثم عاد وفى يده رسالة ناولها لى بعد أن قرأها وهو يقول :

- ما رأيك فى هذه يا صديقى ؟

أخذت الرسالة فى فضول ، وكانت مكتوبة بحروف المطبعة ، على ورق سميك ، وهذا نصها :

مستر هركيول بوارو .

يقال انك ذكى ولا يستعصى عليك شىء مما يستعصى على رجال بوليسنا الإنجليز المساكين ذوى العقول البليدة . سنمتحن الآن ذكاءك أنت ايها الأريب . إن اللغز الذى نقدمه لك قد يثير حيرتك . لا يفوتنك ما سوف يحدث فى الحادى والعشرين من هذا الشهر فى أندوفر على كل حال ...

وتفضل ...

ألقيت نظرة على العنوان ... كان هو الآخر مكتوبا بحروف المطبعة .

قال بوارو : وطابع البريد مختوم بخاتم بريد و .س . مارأيك ؟

هززت كتفى وأعدت الخطاب وأنا أقول : لا شك أنه هذيان مجنون .

- أهذا كل ما تستطيع قوله ؟

- لا يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام إلا من مجنون ، فهل تزعم العكس ؟

- أبدأ يا صديقى العزيز .

وتظاهر بالجدية وهو ينطق بهذه العبارة بحيث حدقت فيه فى دهشة وقلت : أنك تأخذ الأمر مأخذ الجد يا بوارو .

- يجب أن تأخذ أقوال المجنون مأخذ الجد دائماً يا صديقى لأنه شخص شديد الخطر .

- لم أفكر فى ذلك بالطبع ... أردت أن أقول أن هذا الخطاب دعابة سخيفة .... دعابة رجل أفرط فى الشراب .

- لعلك على حق يا هاستنجز ... لا يجب أن نرى فيه شيئاً آخر .

سألته إذ رأيت استياءه : وهل ترى فيه شيئاً آخر ؟

ولكنه لم ينطق واكتفى بأن هز رأسه فقلت : حسناً .. ما رأيك أنت فيه ؟

- رأيى ؟ .. أننى عرضت الخطاب على جاب ، ولم ير فيه هو الآخر غير دعابة سمجة . إن اسكوتلاندياردِ تأتيها كل يوم خطابات مماثلة ، وأنا أيضا جاءنى منها نصيبى .

- ولكنك تعلق على هذا الخطاب بالذات أهمية خاصة ؟

أجاب : هناك شىء فيه يقلقنى ياهاستنجز .

قلت وأنا أشعر بالأهتمام رغماً عنى : وما هو ؟

لم يرد وإنما أخذ منى الخطاب وأعاده مكانه بدرج مكتبه فقلت : إذا كنت تأخذ هذا التهديد مأخذ الجد فلماذا لا تتصرف ؟

- آه .. وماذا تريد منى أن أفعل ؟ ... إننى عرضت الخطاب على بوليس المقاطعة ولكنه رفض الإهتمام به ، فليست به أية بصمات ، كما أنه ليس لديه أية معلومات عمن يكون قد أرسله .

- الغريزة وحدها هى التى تثير حذرك اذن ؟

- أرجوك يا هاستنجز ... يمكنك أن تستخدم كلمة أخرى غير كلمة الغريزة ... إن معرفتى وتجاربى تجعلنى استشعر شيئاً مريبا فى هذا الخطاب .

وراح يحرك يديه وهو لا يجد الكلمات المناسبة للتعبير عما يدور فى ذهنه .

– لعلنى أهتم به أكثر من اللازم ، ومهما يكن فلا يسعنا إلا الإنتظار .

– إن يوم ٢١ الجارى هو الجمعة القادم ... فإذا ما وقعت سرقة كبيرة فى انحاء اندوفر ...

– لو كان الأمر كذلك لشعرت بارتياح كبير .

– إرتياح ؟

بدا لى أن الكلمة لا تتناسب كثيراً مع الموقف فقلت : إن السرقة تتسبب فى انفعال لا فى ارتياح .

هز بوارو رأسه فى قوة وقال : إنك تخطىء يا صديقى ... أنت لا تفهم ما أعنيه . إن السرقة ستسبب لى ارتياحاً كبيراً لأنها ستزيل عنى الخوف من وقوع شىء أكثر خطراً .

– أى شىء ؟

– جريمة قتل .



هذا الفصل لا ينتمى
إلى مذكرات الكابتن هاستنجز

نهض مستر الكسندر بونابرت تاست من مقعده وأخذ يدور بعينيه القصيرتى النظر فى أنحاء غرفة النوم . وكان قد مضى مدة طويلة وهو جالس فى مقعده لا يتحرك بحيث أحس أن جسده قد تيبس ففرد نفسه وتمطى . وكان طويل القامة ولكن ظهره المقوس وعينيه القصيرتى النظر أوحت بعكس ذلك .

وأخرج من جيب معطفه المعلق لصق الباب علبة من السجائر من النوع العادى الرخيص وأخرى من الثقاب ، وبعد أن أشعل سيجارة وتناول دليلاً لمواعيد القطارات وراح يفحص قائمة من الأسماء المكتوبة على الآلة الكاتبة ، وبجرة قلم وضع علامة أمام أحد الأسماء الأولى بهذه القائمة .

وكان ذلك فى اليوم العشرين من شهر يونيه .



أندوفر

أثارتنى هواجس بوارو بخصوص الخطاب المجهول فى ذلك الوقت بالطبع ، ولكننى أعترف أننى لم ألبث أن نسيت أمره ولم أفكر فيه بعد ذلك ، وعندما أقبل اليوم الحادى والعشرون من يونيه أعاده الى ذاكرة المفتش جاب لصديقى البلجيكى .

وجاب هو كبير المفتشين بإدارة اسكوتلانديارد ، وكنا نعرفه منذ وقت طويل ، وقد استقبلنى بحرارة كبيرة قائلاً :

آه أهذا هو الكابتن هاستنجز ؟ إذن فقد عاد من البلاد البدائية المتخلفة . يسرنى أن أراك مع مستر بوارو . أراك فى صحة جيدة وإن كان الصلع قد بدأ يدب فى رأسك . ولكن هذا مصيرنا جميعاً . وأنا نفسى لم أفلت من ذلك .

قطبت جبينى ، فقد كنت أتصور أننى ، بعنايتى بشعرى وتصفيفه وإعادته الى الأمام أستطيع إخفاء الصلع الخفيف الذى يشير إليه جاب .

ولما كنت أعتقد أن الأخير يفتقر إلى الكياسة فإننى لم أعر قوله أية أهمية وأكتفيت بأن قلت له أننى ، أنا وهو ، نتقدم فى السن فقال :

إلا بوارو ... فى الإمكان استخدام رأسه فى الدعاية للإعلان عن أحد مستحضرات نمو الشعر . إن شاربه باق كما هو لم يتغير على الرغم من كبر سنه ، وإنما ازداد لونه سوادا كما إزداد شهرة عجيبة . إنك تجده فى كل الجرائم المشهورة ... فى جرائم الجو ، وفى جرائم السكك الحديدية ، وفى جرائم المجتمع ... إنك تجده فى كل مكان ... وقد كثر الحديث عنه منذ تقاعده .

قال بوارو وهو يبتسم : لقد قلت لهاستنجز منذ أيام أننى أشبه البريمادونا التى تقدم حفلتها الأخيرة مراراً كثيرة .

قال جاب وهو يضحك : سينتهى بك الأمر إلى أن تكتشف قاتلك أنت نفسك .. هذه فكرة رائعة يمكن أن تضمها فى كتاب .

قال بوارو وهو يغمز لى بعينيه : سأترك هذه المهمة لهاستنجز .

هتف جاب : آه ... آه ... هذه نكتة مضحكة .

ولكننى والحق يقال لم أجد ما يستحق الضحك . بل إن النكتة نفسها بدت لى سمجة ، فقد كان بوارو المسكين يتقدم فى السن وكل إشارة إلى نهايته ، سواء كانت قريبة أو بعيدة ، كانت تدل على قلة ذوق ولم تكن لتروق له .

ولا ريب أن جاب رأى فى عينى ما ينم عن امتعاضى لأنه أسرع يقول :

هل علمت بأمر ذلك الخطاب الذى أرسله مجهول لبوارو ؟

قال صديقى : إننى عرضته عليه أنا نفسى .

- هذا صحيح ، ولكننى نسيت أمره . ولكن ما هو اليوم المذكور فى ذلك الخطاب ؟

قال جاب : « ٢١ » ، وقد جئت لكى أذكرك به بالذات ... كان أمس هو اليوم الحادى والعشرون ، وقد أتصلت بأندوفر بدافع الفضول ... إن الأمر لا يعدو أن يكون دعابة طبعاً لأنه لم يقع شىء غريب ... أحجار قذفها بعض الصبية وفترينة محطمة

وبعض السكارى وسرقات صغيرة تافهة ... هذا هو بيان ما وقع أمس . أن صديقنا البلجيكى قد جازت عليه الخدعة .

قال بوارو : إننى أشعر بارتياح كبير الآن .

قال جاب : ولكنك أخذت هذا الخطاب مأخذ الجد ، ولم يكن هناك أى داع لذلك ... كل يوم تأتينا عشرات الخطابات من ذلك النوع ... من أناس عاطلين مخبولين لا يجدون ما يشغلون به وقتهم غير كتابة مثل هذه الرسائل السخيفة .. ولا هم لهم الا اللهو ولا أكثر .

قال بوارو : إننى أخطأت فى الواقع اذ علقت على هذا الخطاب كل هذه الأهمية .

قال جاب : سأنصرف الآن . إننى أحقق في سرقة مجوهرات وقعت فى الشارع المجاور ، ورأيت أن أنتهز الفرصة لكى أطمئنك يا عزيزى بوارو فلم أشأ أن أجعل خلايا مخك تعمل سدى .

– وقال بوارو هذا العزيز جاب ... انه لم يتغير .

– اننى أراه قد كبر فى السن ، وقد وخط المشيب شعره كله . ثم اننى أراه وقحا وقليل الذوق .

ابتسم بوارو ولم يعلق . أما أنا فقد قلت : يؤسفنى أن تنتهى مسألة هذا الخطاب الى لا شيء .

– أعترف أن الخدعة جازت علىّ . خيل لي أننى أرى فيه شيئاً مريباً ، فى حين أن الامر لم يكن أكثر من دعابة سمجة .

قلت وأنا أضحك : اذا كان ولابد أن أتعاون معك فلنكن يقظين لكى نهتدى الى الجريمة المثيرة .

– هل تذكر تلك الملاحظة التى قلتها فى ذلك اليوم ؟ ... إذا كنت تستطيع أن تطلب جريمة قتل كما تفعل حين تطلب طعام الغذاء ، فماذا تختار ؟

ورأيت أن أشارك بوارو فى مرحه فأجبت : دعنا نفحص القائمة أولاً : سرقة ؟ ... أو شيك بدون رصيد ؟ ... كلا . ليس فى هذا أية اثارة ... تلزمنى جريمة قتل ... جريمة قتل دامية .. ومعها كل التوابل طبعاً .

- طبعاً ... والمشهيات كذلك ؟

- ومن يكون الضحية ؟ .. رجل أو امرأة ؟ ... رجل ثرى .. مليونير أمريكى أو رئيس وزراء أو صاحب صحيفة كبيرة ... وأين تقع الجريمة ؟ ... لماذا لا تقع فى غرفة المكتبة التى تزخر بالكتب المجلدة الجميلة ... ليس هنالك أفضل من هذا الجو ... أما عن سلاح الجريمة ... فسوف يكون خنجراً ذا قبضة غريبة الشكل .

تنهد بوارو واستطردت أقول : وهناك السم أيضاً ... ولكن السم يستلزم فناً خاصاً ... ثم هناك المسدس الذى ينطلق فى جوف الليل أضف الى كل هذا فتاة أو فتاتين جميلتين .

تمتم صديقى يقول : لهما شعر أحمر !

- ليكن . وتقع الشبهة على أحديهما بدون وجه حق ، ويحدث سوء تفاهم بينها وبين خطيبها . ويجب أن تحوم الشبهة حول امرأة أخرى ... أكبر سناً ، سمراء ، من النوع الفتاك ... وكذلك حول صديق أو غريم للقتيل ... سكرتيره مثلاً ... يكون كبش الفداء ... رجل بشوش ، غريب الأطوار ... وبعض الخدم المطرودين ... ومع كل هؤلاء مفتش بوليس غبى كالمفتش جاب ... وهذا كل شىء .

- هل هذه هى الجريمة المثيرة فى رأيك .

- ألست معى فى ذلك ؟

نظر بوارو إلىّ فى حزن وقال : إنك ذكرت موجزاً لأغلب الروايات البوليسية التى ظهرت حتى اليوم .

قلت : حسناً .. وماذا تطلب أنت ؟

أطبق بوارو عينيه ، وأضطجع فى مقعده إلى الوراء ، وخرج صوته من بين شفتيه كالهدير يقول :

- جريمة بسيطة جداً ... بدون أية تعقيدات ... جريمة من تلك الجرائم التى تقع فى الحياة العامة ... جريمة ذات طابع شخصى ...

- ماذا تعنى ؟

- لنفرض أن هناك أربعة أشخاص حول مائدة يلعبون البريدج وأن شخصاً خامساً يجلس بجوار النار وجد قتيلاً فى نهاية السهرة .. واحد من الأربعة نهض أثناء اللعب وقتله . والثلاثة الآخرون مستغرقون فى اللعب . ويتضح من التحقيق أن كلا من الأربعة غادر مكانه فى وقت من الاوقات .. آه .. هذه جريمة مثيرة ..

- من منهم القاتل ؟

- ولكننى لا أرى فى هذه الجريمة شيئاً مثيراً .

رمانى بوارو بنظرة كلها عتاب وقال : لأنه ليس فيها لا خنجر غريب ، ولا تهديد ، ولا زمردة مسروقة من اله فى معبد ، ولا سم شرقى لا يترك وراءه أثراً ...

إن لك ذوقاً ميلودرامياً يا هاستنجز . لا تكفيك مأساة واحدة فتطلب سلسلة من المآسى .

- إعترف أن جريمة ثانية فى الرواية تثير الاهتمام فى الغالب ، فإن جريمة القتل إذا ارتكبت فى بداية الرواية واستمر التحقيق حتى الفصل قبل الأخير ، فإن القصة تصبح مملة شيئاً ما . صلصل جرس التليفون فى هذه اللحظة فنهض بوارو لكى يرد وقال :

- آلو ... نعم . أنا هركيول بوارو ... من الذى يتكلم ؟

وأصغى دقيقة أو دقيقتين ، ورأيت ملامح وجه تتغير ، واقتصر رده على كلمات وجيزة دون أى رابط بينها ، وأخيراً قال :

- نعم ... نعم طبعاً ، نعم ، نعم ، سوف نذهب ، طبعا ... لعلك على صواب .

- نعم . سأتى به معى ... الى الملتقى .

ووضع السماعة مكانها ، وعاد الىّ وهو يقول : كان جاب هو الذي يتحدث يا هاستنجز .

- حسناً ؟

- عاد الى اسكوتلانديارد ووجد رسالة من أندوفر فى انتظاره .

- أندوفر ؟

قال بوارو فى بطء : قتلت امرأة عجوز تدعى مسز آشير ، صاحبة محل صغير لبيع السجائر .

خفت حدة الاهتمام الذى أثارته كلمة « أندوفر » فى نفسى بشكل ملحوظ ، فقد كنت أنتظر جريمة عجيبة ... تخرج من المألوف ... ولهذا بدا لى أن مقتل امرأة عجوز صاحبة محل صغير جريمة قذرة مبتذلة .

واستطرد بوارو يقول بصوته الخفيض البطىء :- ويعتقد بوليس أندوفر أن فى استطاعته القبض على القاتل .

أحسست بخيبة أمل جديدة . فى حين أردف بوارو : يبدو أن القتيلة لم تكن على وفاق مع زوجها ، وهو عربيد أفسد حياتها وهددها بأن يقتلها أكثر من مرة .

ومع ذلك ، ونظراً الى ما حدث فإن البوليس يريد أن يفحص من جديد الرسالة التى جاءتنى . وقد قلت أننا سنذهب ، أنا وأنت ، فوراً الى أندوفر .

واستعدت شجاعتى ، فعلى الرغم من بساطة هذه الجريمة إلا أنها كانت جريمة على اى حال ، ولم أكن قد وجدت الفرصة منذ وقت طويل للاهتمام بالجرائم أو المجرمين .

ولكننى لم أبد أى اهتمام فى ذلك الوقت بالكلمات التالية لبوارو ، غير أنها لم تلبث أن عادت الى ذاكرتى فيما بعد بكل ما فيها من معنى .

ذلك أنه قال : ليست هذه إلا البداية .

- كورتيس ؟ .. ان هذا الاسم يذكرنى بشئ .

وتركها بوارو تحاول أن تتذكر .. وقال أخيرا :

- أليس لديكم أى نزيل باسم الكابتن كورتيس ؟

- ليس فى الوقت الحالى بكل تأكيد . ومع ذلك فاننى سمعت هذا الاسم أخيرا . هل يمكنك أن تصف لى صديقك هذا ؟

- سيكون ذلك صعبا . أظن أنه تأتيك فى بعض الأحيان رسائل لا يقيم أصحابها لديك ؟

- طبعا . يحدث هذا كثيرا .

- ماذا تفعلين فى هذه الحالة ؟

- اننا نحتفظ بها بعض الوقت الى أن يأتى أصحابها ، ولكن اذا بقيت بعض الرسائل أو الطرود فترة طويلة دون أن يطلبها أحد فاننى أعيدها الى ادارة البريد طبعا .

هز بوارو رأسه فى تفكير وقال :

- اننى أفهم جيدا .. اننى أرسلت خطابا لذلك الصديق بعنوانك .

انبسطت أسارير مسز هارت وقالت :

- هذا يوضح كل شئ . لا ريب أننى قرأت هذا الاسم على مظروف . ولكن هناك عسكريين كثيرين ينزلون بفندقنا . انتظر لحظة ريثما أتأكد .

وانحنت فوق الملف ثم قالت :

- لا ريب اننى أعدت رسالتك للساعى .. اننى آسفة يا سيدى . أظن ان الأمر لم يكن مهما ؟

- كلا . ليس تماما .

ومضى نحو الباب تتبعه مسز هارت ورائحتها.

- واذا قبل صديقك ؟

- لا أظن أنه سيأتى .. اننى أخطأت .

- أن أسعارنا معتدلة يا سيدى ، ونقدم القهوة مجانا مع الغداء .

ألا تريد أن تلقى نظرة على غرفنا ؟

وأفلح بوار فى الافلات منها ببعض المشقة .

٤

كانت غرفة استقبال مسز صامويلسون أكبر وأفخم أثاثا من غرفة استقبال هوجين . وكانت مجهزة فوق ذلك بأجهزة التدفئة . وشق هركيول بوارو طريقه فى حذر كبير بين عدد من المناضد والطاولات التى صفت فوقها مختلف التحف والتماثيل الصغيرة النفيسة .

وكانت مسز صامويلسون نفسها أكبر سنا من الليدى هوجين .. لها شعر أحمر وكلبها البكينى اسمه نانكى بو وقد راح يتبع كل حركات بوارو بعينيه الجاحظتين الخبيثتين .

وكانت مس كيل الوصيفة ، على العكس من مس كارنابى هيفاء نحيفة ، ولكنها كانت تتكلم بسرعة وتحاول أن تسترد نفسها ما بين لحظة وأخرى . وقالت أنها لقيت الكثير من اللوم والتعنيف عند اختفاء نانكى بو واستطردت :

- ومن الغريب يا مستر بوارو ان الأمر حدث بسرعة مدهشة.. كنا أمام محل نانود ، وقد سألتنى احدى الممرضات عن الساعة ..

قاطعها بوارو قائلا :

- احدى الممرضات .. هل تعنين مربية أطفال ؟

- نعم ... وهو طفل جميل ... ملاك صغير متورد الخدين .. يقال ان الأطفال فى لندن لا يتمتعون بصحة جيدة فى حين .

قاطعتها مسز صامويلسون عندئذ قائلة :

- ايلين !

أحمر وجه مس كيبل واختتمت مسز صامويلسون القصة بنفسها فقالت بصوت لاذع :

– وعندما انحنت مس كيبل ، ولا أدرى لماذا ، فوق ذلك الطفل قطع أحد الأشقياء ، مقود نانكى بو وهرب به .

تمتمت مس كيبل :

– حدث كل شئ بسرعة مذهلة .. وعندما استدرت كان الكلب الصغير قد اختفى ، ولم أجد فى يدى غير جزء من المقود . لعلك تريد أن تراه يا مستر بوارو .

– لا فائدة .. أشكرك .

لم يكن فى نية بوارو أن يجمع مقاود الكلاب المقطوعة واستطرد .

– اذا لم أخطئ جاءتك رسالة بعد ذلك .

كان السيناريو هذه المرة مشابها تماما .. الرسالة والتهديد بقطع ذيل الكلب وأذنيه ، ولم يختلف الا فى نقطة واحدةوهى أن المبلغ المطلوب هذه المرة كان ثلاثمائة جنيه ، وكان يجب أن يرسل فى مظروف بعنوان القومندان بلاكى بفندق هارتنجتون رقم ٧٦ بحدائق كلوفميل بكنسنجتون .

واستطردت مسز صامويلسون تقول :

– وعندما عاد نانكى بو ذهبت أنا نفسى الى ذلك الفندق يا مستر بوارو ، فان ثلاثمائة جنيه مبلغ لا يستهان به . وكان أول شئ رأيته عندما دخلت قاعة الفندق خطابى فى ملف كبير ، وانتهزت الفرصة وأنا أنتظر المديرة ، ودسسته فى حقيبتى ولكن للأسف

وقال بوارو : – لم يكن يحتوى الا على بعض قصاصات من الورق الزبيض للأسف ؟

صاحت مسز صامويلسون مشدوهة :

– كيف عرفت ذلك ؟

هز بوارو كتفيه وقال :

– ان الأمر واضح يا سيدتى . لقد أخذ اللص النقود قبل أن يرد اليك كلبك . ثم أعاد الظرف بعد أن وضع بدلها أوراقا بيضاء حتى لا يلحظ أحد أختفاءه .

– ولم يكن بالفندق أى قومندان بهذا الاسم .

ابتسم بوارو فى حين أردفت مسز صامويلسون :

– وقد استولى الغضب على زوجى . وكاد يجن .

سألها بوارو فى حرص :

– لأنك لم تذكرى له شيئا قبل أن ترسلى النقود ، أليس كذلك ؟

– هو ذلك ، فان الرجال غريبو الأطوار عندما يتعلق الأمر بالنقود . ولو اننى أخبرته بشئ لأبلغ البوليس على الفور ، ولم أشأ أن أغامر حتى لا يضار كلبى ، فقد كان من المحتمل أن يقع له أى شئ . ولكن كان لابد لى من ابلاغ زوجى بكل شئ فيما بعد ، فان حسابى فى البنك أصبح مكشوفا . ولم أره فى مثل هذه الحالة أبدا قبل ذلك . ان الرجال لا يفكرون الا فى النقود .

قالت مسز صامويلسون العبارة الأخيرة وهى تداعب سوارها الماسى بأصابعها المثقلة بالخواتم .

٥

أخذ هركيول بوارو المصعد حتى مكتب سير جوزيف هوجين ، وكان هذا الأخير مشغولا وسأله أن ينتظر وبعد بضع لحظات خرجت شقراء مشعثة من المكتب ويداها محملتان بالملفات ورمته بنظرة شذراء .

وكان سير جوزيف جالسا خلف مكتب كبير ، وكانت فوق ذقنه آثار أحمر للشفاه . وقال :

– اجلس يا مستر بوارو .. هل لديك أخبار لى ؟

- ان القصة بسيطة جدا . أرسلت النقود فى كل حالة الى فندق أو الى بنسيون عائلى لا يوجد به بواب أو موظف استقبال ، ويمضى اليه العملاء ، وأغلبهم من الضباط المتقاعدين ، ويخرجون دون رقيب . وليس هناك أسهل من الدخول الى هذه الفنادق والحصول على خطاب من المكان المخصص للخطابات وافراغ ما به من نقود واعادته بالتالى بعد استبدالها بقصاصات من الورق . ان الأثر يضيع هناك .

- أنت لا تعرف من الجانى اذن ؟

لدى فكرتى الخاصة فى هذه الناحية ، ولابد لى من بضعة أيام لكى أصل الى نتيجة .

نظر سير جوزيف اليه مشدوها وقال :

- حسنا .. عندما تعثر على شئ أرجو ..

- سآتى عندئذ لكى أراك .

- اذا أنت مضيت فى هذه القضية حتى النهاية فان ذلك يكون رائعا .

قال هركيول بوارو :

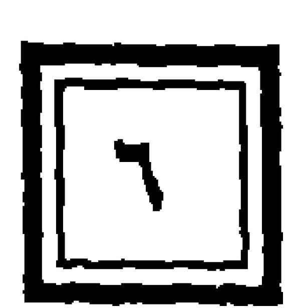
- من المحتمل أن أخفق ، وان كان هذا لم يقع لى قبل ذلك .

قال سير جون مقطبا :

- ولكنك واثق من نفسك ؟

- كل الثقة .

- حسنا ، ولكن لا يجب أن تبيع جلد الدب قبل صيده .



جلس هركيول بوارو أمام جهاز التدفئة الكهربائى وراح يفكر فى ارتياح ، ولم يلبث أن ابتسم وقال لخادمه ، وكان قد فرغ من تزويده بتعليماته منذ قليل :

- هل فهمت يا جورج ؟

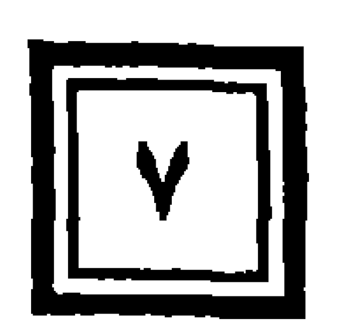
- نعم يا سيدى .

- هو مسكن أو بيت صغير بدون شك ، ويجب أن يقع فى دائرة محدودة ، بين جنوب الحديقة وشرق كنيسة كنسنجتون وغرب قناطر ناتيسبريدج وشمال طريق فولهام .

- حسنا يا سيدى .

- هذه مسألة غريبة جدا ، وقد دبرها صاحبها بذكاء كبير ، ويبدو لى أن صاحب هذه التجارة يتمتع بموهبة عجيبة فى الاختفاء . نعم ، انه لأمر غريب . كنت أود أن أعالج عميلا أكثر ظرفا ، أما هذا العميل بالذات فيخيل لى لسوء الحظ أنه يشبه تاجر صابون فى ليبج دس السم لزوجته ، لكى يتزوج سكرتيرته الشقراء .. . وهى احدى قضاياى الأولى .

- حسنا يا سيدى . ان هؤلاء الفتيات الشقراوات خطرهن جسيم .



قال جورج الفريد بعد ثلاثة أيام :

- هاك العنوان يا سيدى .

- حسنا يا جورج . وأى يوم من أيام الأسبوع ؟

- الخميس يا سيدى .

- أى اليوم ! .. يجب أن أسرع اذن .

وبعد عشرين دقيقة كان مستر بوارو يصعد الدرج فى بيت عتيق ، بشارع كئيب ، فى حى أنيق . وكانت الشقة رقم ١٠ بشارع روشون تقع فى الطابق الثالث ، ولم يكن بالبيت مصعد ، وكان السلم حلزونيا متعبا .

وتوقف المخبر فى البسطة الأخيرة أمام الشقة رقم ١٠ لكى يسترد أنفاسه . ونبح كلب فجأة فقطع حبل الصمت وابتسم بوارو وضغط على زر الجرس .

وازداد النباح فى الداخل ، وسمع وقع خطوات تقترب وفتح الباب وارتدت مس آمى كارنابى على الفور وقد وضعت يدها على صدرها .

وسألها بوارو :

- هل أستطيع أن أدخل .

واجتازالعقبه دون أن ينتظر الرد .

وكان هناك باب آخر ، على االيمين يفضى الى غرفة استقبال صغيرة دخلها المخبر تتبعه مس كارنابى ، وهى تمشى فى خطى متثاقلة ، كفريسة تحاول الخلاص من كابوس مزعج .

كانت الغرفة صغيرة كثيرة المفروشات ، وكانت هناك امرأة مسنة تجلس فوق أريكة أمام موقد يعمل بالغاز . وعند دخول بوارو وثب كلب بكينى صغير من الأريكة التى كان راقدا فوقها ، وأقترب من المخبر وهو ينبح فى حذر .

قال بوارو :

- آه .. هذا هو الممثل الرئيسى . صباح الخير يا صديقى ..

وانحنى وبسط يده ، وتشممها الكلب فى حذر ، وهو يحدق بعينيه الذكيتين فى الوافد الجديد .

وتمتمت مس كارنابى تقول فى اعياء :

- اذن فأنت تعرف كل شئ ؟

- نعم .

وتحول الى السيدة المسنة الجالسة فوق الأريكة وقال :

- وهذه أختك بدون شك ؟

- نعم . هذا هو مستر بوارو يا اميلى .

هتفت المرأة المسنة فى خوف :

- أوه ! ...

وعادت مس كارنابى تقول :

- وهذا هو أوجست :

نظر الكلب البكينى اليها ، وراح يهز ذيله وقد بدا كأنه اطمأن الى بوارو .وأخذ المخبر الكلب الصغير فى رفق ، وجلس فوق مقعد ، ووضعه فوق ركبتيه ، وقال فى ارتياح :

- اننى عرفت السر وفرغت من مهمتى الآن .

سألته مس كارنابى فى صوت خافت :

- هل تعرف كل شئ حقا ؟

- أعتقد ذلك على الأقل . انك قمت بهذه " التجارة " . بمساعدة أوجست طبعا . خرجت بكلب مخدومتك فى نزهة عادية ، ولكنك أتيت به هنا ثم ذهبت بعد ذلك الى الحديقة ومعك أوجست ، ورآك الحارس مع كلب بكينى كما هى العادة . ولو اننا اهتدينا الى الممرضة لشهدت هى الأخرى بأن الكلب البكينى كان معك . وبينما كنت تتحدثين معها تطعت مقود أوجست ، وكنت قد دربته أنت على العودة وحده ، وبعد بضع دقائق صرخت بأن الكلب سرق منك .

ساد صمت ، ونهضت مس كارنابى فى وقار مؤثر وقالت :

- نعم . كل هذا صحيح .. ليس .. ليس لدى ما أقول .

وراحت المرأة المريضة فوق الأريكة تبكى فى هدوء :

- أليس لديك ما تقولين حقا يا آنسة ؟

- كلا .. انى سرقت . وافتضح أمرى .

تمتم بوارو يقول :

- أليس لديك ما تقولين دفاعا عن نفسك ؟

احمرت وجنتا آمى كارنابى البيضاوين وقالت :

- اننى لا أندم على ما فعلت ، ويخامرنى احساس بأنك رجل كريم يا مستر بوارو .. ومن يدرى .. ؟ لعلك تفهم .. ؟ ان الخوف هو الذى دفعنى الى أن أفعل ما فعلت .

- الخوف . ؟

- نعم . أنى أعرف أن من الصعب على الرجل أن يستوعب مثل هذه الأمور . أنى لست ذكية ، ولم أحصل على أية ثقافة ، ثم اننى أتقدم فى السن ، والمستقبل يخيفنى ، ولم أستطع أن أدخر شيئا ، لأننى اهتم باميلى دائما . وكلما أتقدم فى السن كلما قلت الفرص فى أن يهتم بى أحد ، فان الرجال يفضلن الفتيات الصغيرات النابهات ولست أعانى وحدى من هذه الحالة فقد عرفت كثيرات مثلى . ان العالم يلفظنا ، وينتهى بنا الأمر الى الاقامة فى غرفة حقيرة تفتقر الى أجهزة التدفئة ، ولا نجد ما نتبلغ به تقريبا . ثم يأتى وقت لا نستطيع مواجهة دفع ايجارها هناك جمعيات طبعا وبيوت للعجزة ، ولكن لابد من وساطة ذوى نفوذ كبير لدخولها ، وليس لى صديق .. وأننى أعرف نساء كثيرات فى نفس هذه الحالة . وصيفات تقدم بهن السن وأصبحن لا يجدن عملا .. المستقبل بالنسبة لهن قاتم .

وتهدج صوتها وقالت بعد بضع لحظات :

- وعندئذ اجتمع البعض منا ، وخطرت لى هذه الفكرة ، والفضل يرجع فيها لأوجست . والكلاب البكينى تتشابه بالنسبة لكثير من الناس ولا يستطيع أحد أن يفرق بينها ، وأن من يعرفها جيدا لا يمكن أن يخلط بين أوجست ونانكى بو وشان تونج . وأوجست ذكى جدا ثم انه أجمل من غيره ، ولكن لنعد الى موضوعنا . ان أغلب الناس لا يفرقون بينها ، وبما أن الكثيرات من السيدات الموسرات لديهن كلاب بكينى .

ابتسم بوارو فى رفق وقال :

- لا ريب ان هذه التجارة قد أتتكم بمال وفير .. ؟ كم يبلغ عدد أفراد العصابة . ؟ أو بالأحرى كم عملية مربحة قمتم بها حتى الآن ؟

قالت مس كارنابى فى لهجة عادية :

- كان شان تونج رقم ١٦ .

نظر هركيول بوارو الى العانس العجوز وقال :

- اننى أهنئك .. أن عصابتك محكمة التدبير حقا .

تدخلت اميلى كارنابى فى الحديث فقالت :

- ان آمى تجيد رسم الخطط دائما ، وكان أبى ، وهو راع فى كلينجتون يقول ان لها موهبة التخطيط . كانت تهتم بكل شئ ..

انحنى بوارو وقال :

- لست أشك فى هذا . أنك مجرمة من الطراز الأول يا آنسة .

وراحت آمى كارنابى تبكى وتقول :

- مجرمة .. ؟ يا الهى لا ريب أنى مجرمة حقا .. ولكنى فى قرارة نفسى لم أشعر أبدا بأنى كذلك .

- ماذا كان شعورك اذن ؟

- من ناحية ، أنت على حق ، فقد خرقت القانون ولكن كيف أفسر لك .. ؟

ان كل السيدات اللاتى يستخدمننا تقريبا بغيضات وخبيثات . واليك هوجين مثلا فهى قمينة بأن ترميك بفاحش القول . وأمس القريب وجدت دوا ءها مرير المذاق ، فسبتنى واتهمتنى بأننى أضع فيه شيئا ما (واضطرم وجه مس كارنابى واستطردت) . والأمور تجرى كل يوم على هذه الوتيرة ، وهو أمر بغيض . ولو أن فى مقدورنا أن نرد لأحسسنا بأننا على الأقل دون المستوى .

قال بوارو :

- اننى أفهم .

- ثم اننا نراهم يلقون بأموالهم من النافذة ، وهذا فى حد ذاته أمر مخجل .

وأحيانا يروى سير جوزيف آخر صفقة قام بها ، وأنا لست الا امرأة ، ولا أفهم شيئا في البورصة . ولكنني أشعر أن عملي هذا غير شريف . كل هذا يحز في نفسي يا مستر بوارو ، وأعتقد أنني اذا أخذت قليلا من أموالهم فلن يضيرهم ذلك شيئا ، ثم انه لن يؤثر في ثروتهم أي تأثير .

- كأني بك روبين هود العصر الحديث ، ولكن قولي لي يا آنسة ، هل كنت تنوين تنفيذ تلك التهديدات التي تضمنتها رسائلك ؟

- التهديدات ؟

- نعم .. هل كنت تنوين تشويه هذه الكلاب الصغيرة .

- أبدا .. يا للعار .. أن هي الا لمسة فنية .

- هي لمسة فيها فن كبير في الواقع . وقد أتت بتأثيرها المطلوب .

- طبعا . فانني أعرف بماذا كنت أشعر لو أن أوجست كان في نفس الموقف . ثم اني لم أكن أريد أن تخبر النساء أزواجهن بالأمر على الفور . كان كل شئ يجرى على ما يرام . وتسع مرات من عشر كانت الوصيفة تخرج وتضع الرسالة التي تحتوى على النقود بنفسها في صندوق البريد . وكنا نفتحها بواسطة البخار ، ونستبدل النقود بأوراق أخرى بيضاء . ومرة أو مرتين خرجت السيدة بنفسها ووضعت المظروف في صندوق البريد ، وكانت أحدانا تذهب الى الفندق ، وتأخذ المظروف من الملف ، ولم يكن الأمر عسيرا أبدا .

- وتدخل الممرضة ؟ .. هل كان يتم دائما بنفس الطريقة ؟ .

- نعم ، فأنت تعرف أن الفتيات العوانس مشهورات بحبهن للأطفال . وأن تنحنى أحداهن فوق عربة أطفال ، وأن لا تلحظ شيئا مما يدور حولها ، لهو شئ لا يجب أن يثير دهشة أحد .

- انك تفهمين النفس البشرية يا آنسة .. وعصابتك مدهشة ، ثم انك تقومين بدورك خير قيام . كنت على أجمل وجه في اليوم الماضي وأنا استجوب الليدى هوجين ، ولم يرق

الى أى شك من ناحيتك ، لعلك لست على ثقافة بما فى هذه الكلمة من معنى . الا أنك تتمتعين بذكاء واقدام كبيرين .

حاولت مس كارنابى أن تبتسم وهى تقول :

– ومع ذلك فقد افتضح أمرى يا مستر بوارو .

– لم يعرف أحد غيرى شيئا ، وما كان يمكن للامر أن يكون غير ذلك . عندما استجويت مسز صامويلسون عرفت على الفور أن اختطاف شان تونج لم يكن الا حلقة من سلسلة من الاختطافات . وقد نمى الى علمى أن الليدى هارتنفيلد أوصت لك بكلبها البكينى ، وأن لك أختا عاجزة . ولم يكن على ألا أن أطلب من خادمى ، وهو رجل فريد من نوعه ، أن يعثر على مسكن تقيم فيه سيدة مسنة مريضة ، ومعها كلب بكينى ، تزورها أختها مرة كل أسبوع . كان الأمر سهلا جدا .

اعتدلت مس كارنابى وقالت :

– انك كنت كريما جدا . هل يمكننى أن أطلب منك معروفا . أعرف أننى لا أستطيع الافلات من المصير الذى أستحقه ، ولا ريب أنهم سيزجون بى فى السجن ، ولكننى أريد تجنب أية دعاية فان الأمر سيكون محزنا لاميلى ولبعض الأصدقاء الذين تبقوا لنا . ألا أستطيع أن أدخل السجن باسم مستعار مثلا .. هل من السوء أن أطلب منك ذلك ؟

– أظن أننى أستطيع أن أفعل من أجلكم أكثر من هذا . ولكن يجب أن يكون الأمر واضحا أولا .. يجب أن تنتهى هذه " التجارة " . لا يجب أن يختفى أى كلب بعد ذلك .. هل تسمعين ؟

– نعم ، نعم ..

– ويجب أن تعيدى النقود التى أخذتها من الليدى هوجين .

– مضت آمى كارنابى الى مكتب فتحت أدراجه ، ثم عادت الى بوارو ومعها رزمة من الأوراق المالية وقالت

– كنت أنوى أرسالها الى المنظمة اليوم .

أحصى بوارو المبلغ ثم نهض وهو يقول :

– أرجو أن أتمكن من اثناء سير هوجين عن السير فى الاجراءات القانونية يا مس كارنابى .

– صحيح ؟

وصفقت آمى كارنابى بيديها وأطلقت اميلى صيحة فرح ، ونبح أوجست وهو يهز ذيله . وقال بوارو يخاطبه .

– أما انت يا صديقى فأننى أود أن تعطينى معطف الاستخفاء الذى احتاج اليه ، لأن أحدا لم يخطر له أن هناك كلبين . لاريب أن أوجست هو الكلب الذى تركته لك الليدى هارتنجفيلد . لقد قيل لى أنه مات . أفلم تشعرى بالخوف أبدا من أن تدهسه احدى العربات وهو فى طريق العودة وحده ؟

– أوه كلا يا مستر بوارو ، فهو يحسن التصرف على الرغم من حركة المرور ، وقد دربته بنفسى على ذلك .

استقبل سي جوزيفر هركيول بوارو فى مكتبه قائلا :

– حسنا يا مستر بوارو .. أما زلت راضيا عن نفسك ؟ .

أجاب بوارو وهو يجلس :

– اسمح لى أن ألقى عليك سؤالا أولا .. أننى أعرف الجانى ، ولدى من الأدلة ما يكفى لادانته اذا اقتضى الأمر . ولكن اذا ألقيت عليه القبض فلا أظن انك ستتمكن من الاستيلاء على نقودك .

احمر وجه سير جوزيف وقال :

– لن أتمكن من الحصول على نقودى .

قال بوارو :

– اننى لست من رجال البوليس الرسميين ، وأعمل لما فيه مصلحتك . واعتقد أننى أستطيع الحصول على المائتى جنيه اذا أنت لم تتخذ أية اجراءات قانونية .

– ايه .. ؟ دعنى أفكر ..

– عليك أنت أن تقرر . يجب أن تلجأ الى القضاء للصالح العام طبعا ، وكثير من الناس يتصرفون هكذا فى مثل هذا الموقف .

قاطعه سير جوزيف فى حدة :

– الناس .. أنها نقودى أنا وليست نقودهم ، وأكره أن يحتال على أحد . لم يحاول أحد خداعى أبدا دون أن يلقى جزاءه .

– علام قررت اذن ؟

– اننى أريد نقودى . لا يمكن لأحد أن يفخر بأنه نصب على وسلبنى مائتى جنيه .

أخرج بوارو عندئذ دفتر شيكاته وحرر شيكا ناوله اياه ، ولكن سير جوزيف قال :

– آه .. كنت أود أن أعرف من ذلك الوغد الذى .. هز بوارو سه وقال :

– اذا أخذت الشيك فلا يجب أن تلقى أى سؤال .

أخذ سير جوزيف الشيك ، ووضعه فى جيبه وهو يقول :

– هذا غريب .. ولكننى استرددت نقودى على كل حال . كم أتعابك يا مستر بوارو .

– مبلغ زهيد . ان الأمر بسيط كما قلت لك ، ومع ذلك فان كل القضايا التى اضطلع بها تدور حول جرائم القتل .

قال سير جوزيف فى حيرة :

– لابد أنه عمل مشوق .

– فى بعض الأحيان . ومن ناحية أخرى فانك تذكرنى برجل اهتممت به منذ بضع سنوات فى بلجيكا .. صاحب مصنع صابون ثرى جدا ، دس السم لزوجته لكى يتمكن من

الزواج بسكرتيرته .. نعم .. أن الشبه غريب حقا . أليس كذلك .. ؟

أزرقت شفتا سير جوزيف بشكل غريب ، وغاص اللون من وجهه ، وحدق فى بوارو بعينين جاحظتين ، ثم تهالك فى مقعده وهو يئن فى صوت مكتوم :

وفجأة أخرج الشيك من جيبه بيد مرتعشة ومزقه أربا وهو يقول :

- فى هذا تسوية لكل شئ . لنفترض أنها أتعابك .

- ولكنه مبلغ كبير يا سيدى ، وما كنت لأتقاضى كل هذا المبلغ .

- يمكنك أن تحتفظ به .

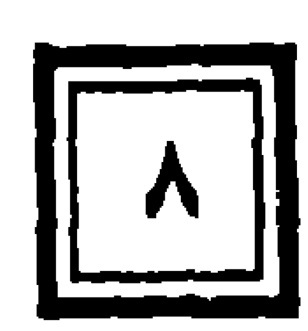
- ما دام الأمر كذلك فسأتبرع به لأحدى الجمعيات الخيرية . لا داعى لأن أقول لك أن رجلا فى مثل مركزك يجب أن يكون حريصا وشديد الحذر .

وجاء الرد فى صوت خافت :

- ليس هناك أى خطر . سأكون على حذر .

تمتم بوارو وهو يهبط الدرج :

- كنت على حق اذن .



كانت الليدى هوجين تثرثر مع زوجها فقالت :

- هذا غريب . ان الدواء لم يعد له نفس الطعم .. لم تعد به تلك المرارة التى كنت لا أستسيغها من قبل ، وأننى أتساءل لماذا ؟

- ان الصيادلة هم السبب ، فهم لا يستطيعون تجهيز نفس الدواء بنفس الطريقة مرتين

قالت الليدى هوجين فى غير اقتناع .

- ربما ..

- بل هذا أكيد ، فماذا تريدين أن يكون غير ذلك ؟

- هل توصل ذلك الرجل الى نتيجة فيما يتعلق بشأن تونج . ؟

- نعم .. انه رد لى نقودى .

- ومن كان الجانى . ؟ انه رجل كتوم .

- لم يقل لى ذلك ، ومهما يكن من أمر فقد انتهى كل شئ الآن .

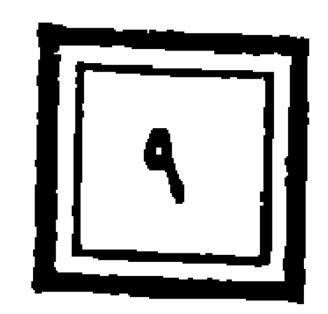
- يا له من رجل قصير غريب الأطوار .. أليس كذلك . ؟

سرت الرعشة فى كيان سير جوزيف ، وألقى خلفه نظرة حذرة . أحس كأن هركيول بوارو واقف خلفه . وأدرك أن هذا الاحساس سيلازمه الى الأبد . وقال :

- انه رجل ذكى .

وأردف يقول محدثا نفسه :

- فلتذهب جريتا الى الجحيم . لن أخاطر بحياتى فى سبيل شقراء لعوب .



- أوه .. !

نظرت ايمى الى الشيك غير مصدقة وقالت :

- اميلى . اميلى .. شيك بمائتى .. جنيه اسمعى عزيزتى مس كارنابى .

اسمحى لى أن أساهم فى منظمتك الخيرية قبل أن تختتم نشاطها .

المخلص

هركيول بوارو

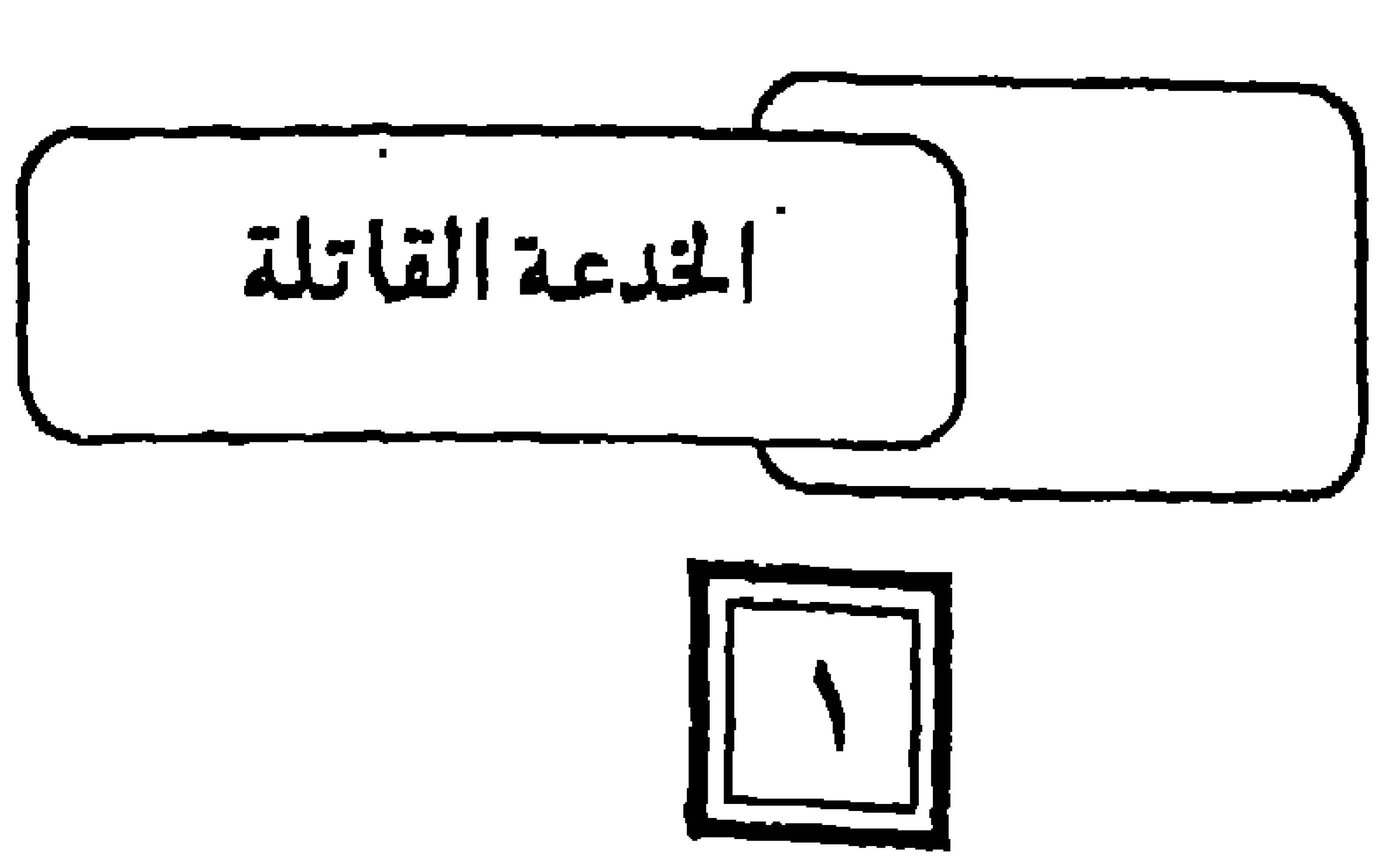
- آمى . ما أسعدنى يا آمى .. تصورى ماذا كان يمكن أن يكون من أمرنا فى هذه اللحظة .

تمتمت آمى كارنابى .

- السجن . ذلك اذا لم يكن هناك ما هو أسوأ منه .. ولكن الخطر زال وانتهى كل شيء ، أليس كذلك يا أوجست ؟ .. نستطيع الآن أن نعيش فى أمن وسلام .

وهز الكلب ذيله فى سرور كما لو كان قد فهم قول سيدته .

***



رآهما هارولد وارنج لأول مرة وهما قادمتان عن طريق البحيرة ، وكان جالسا فى شرفة الفندق .. كان الجو صحوا جميلا والبحيرة زرقاء والشمس تسطع فى كبد السماء . وكان يدخن غليونه وقد طغى عليه احساسه بأن الحياة جميلة حلوة .

كان مستقبله السياسى قد بدأ يتخذ وضعا أفضل ، فان يكون الانسان وكيل وزارة وهوفى الثلاثين من عمره لأمر جميل يدعو الى الفخر ، وقد سمع أن رئيس الوزراء تكلم عنه ، فقال أن وارنج الشاب تتفتح أمامه أبواب المستقبل .

وكان قد قرر أن يقضى أجازته فى سلوفكيا ، لكى يكون بعيدا عن الأحياء المطروقة ، وأن يستريح حقا بعيدا عن الجميع وعن كل شئ . ومع أن فندق ستمبكا كان فندقا صغيرا بسيطا الا أنه كان مريحا ، ويكاد يكون شاغرا فى هذه الفترة من السنة . وكان الرواد الذين ينزلون به كلهم من الأجانب ، ولم يكن به من الانجليز حتى الآن غيره ، هو ومسز رايس ، وهى امرأة بين عمرين وابنتها مسز كلايتون . وقد استظرفهما هارولد ، فقد كانت السى كلايتون جميلة .. من ذلك الجمال الهادئ ، وكانت لا تستعمل الاصباغ الا قليلا . وكان يبدو عليها الهدوء والخجل .... أما مسز رايس فكانت امرأة تبدو قوية الارادة والعزم ، كانت طويلة القامة ، لها صوت خفيض ، تعودت على أن تطاع ، ولكنها لم تكن تفتقر مع ذلك الى روح الدعابة . وكان المرء يستريح الى صحبتها . وكان واضحا أنها لا تعيش الا لابنتها .

وكان هارولد قد قضى قبل ذلك ساعات لذيذة مع الأم والابنة ، ولكن لم تحاول أى

منهما الاستئثار به ، وبقيت العلاقات بينهما ودية غير مملة . أما الرواد الآخرون فكانوا يأتون فى أغلب الأحيان جماعات فى رحلات منظمة ، فيبقون ليلة أو ليلتين ثم يرحلون . ولم يهتم هارولد بهم .

حتى كانتا قادمتين من البحيرة . تمشيان فى بطء ، وفى نفس اللحظة التى رآهما فيها هارولد مرت سحابة فوق الشمس فحجبتهما ، وسرت فى بدن الشاب عندئذ قشعريرة..

كان لهما منظرا غريبا .. كان لكل منهما أنف طويل معقوف كمنقار الطير ، وكانت لهما سمات غريبة ، وكانتا تتشابهان بطريقة عجيبة ، وقد ألقت كل منهما بوشاح على كتفيها راح يتطاير مع الهواء ، فبدأ كجناحى طائر كبير .

ومضت المرأتان قدما الى الشرفة ، وكانتا قد تجاوزتا مرحلة الشباب ، تناهز كل منهما الخمسين . وكان الشبه بينهما كبيرا بحيث كان يخيل لمن يراهما أنهما أختان . وعندما مرتا بجوار الشاب حدقتا فيه باهتمام .

وأحس هارولد بالضيق ، فحول عينيه ، فوقع بصره على يد قاسية تبدو كالمخلب ، وحدث نفسه يقول :

- يالهما من امرأتين بشعتين .. أنهما متوحشتان .

وأقبلت مسز رايس فى هذه اللحظة فانتزعته من أفكاره القاتمة ، وأسرع اليها ، وقدم لها مقعدا ، فشكرته بكلمة رقيقة ، ثم جلست وراحت تحبك الصوف فى نشاط كعادتها . وسألها هارولد :

- هل رأيت هاتين المرأتين اللتين دخلتا الفندق الآن .. ؟

- أتعنى هاتين اللتين تضع كل منهما وشاحا فوق كتفيها .. ؟ نعم .. أننى التقيت بهما .

- انهما غريبتان ، أليس كذلك ؟

– كيف ؟ آه ، نعم ، ربما .. أظن جاءتا أمس ، وهما تتشابهان كثيرا . لاريب أنهما توأمتان .

قال الشاب :

– لعلنى أتوهم ولكننى أراهما شيطانتين .

– آه .. يجب أن أراهما عن كثب .. سأسأل البواب عنهما . لاريب أنهما ليستا انجليزيتان .

– أوه ، كلا ..

– ألقت مسز رايس نظرة الى ساعتها وقالت :

– ساعة الشاى . هل تتكرم فتدق الجرس يا مستر وارين ؟

– بكل سرور ..

ودق الجرس ثم عاد فجلس وقال :

– أين ذهبت ابنتك بعد ظهر اليوم .

– السى .. أننا تنزهنا معا ، ومشينا حول البحيرة ، ثم عدنا عن طريق الغابة . فكانت نزهة جميلة .

وجاء الجرسون ، فأصدرا اليه أوامرهما باحضار الشاى . واستطردت مسز رايس تقول بعد أن ابتعد :

– لقد جاء خطاب لالسى من زوجها ، وقد لا تهبط الآن ..

قال هارولد مشدوها :

– زوجها .. ؟ كنت أظنها أرملة .

ألقت مسز رايس اليه نظرة حادة وقالت فى حدة :

– أوه ، كلا . ان السى ليست أرملة .

وأردفت تقول متشدقة :

- للاسف .. !

ولم يستطع هارولد اخفاء دهشته فقالت :

- نعم يا مستر ورانج .. ان الشراب سبب مصائب كثيرة .

- هل يشرب ؟

- نعم . ولا يكفيه هذا ، فانه شديد الغيرة وعنيف الطبع ..

وتنهدت واستطردت :

- آه .. ان الدنيا قاسية يا مستر وارنج . اننى أعبد السى ، فهى ابنتى الوحيدة .. ويحز فى قلبى أن أراها تشقى .

قال هارولد فى اخلاص :

- انها وديعة جدا .

- بل أظن أنها وديعة أكثر من اللازم .

- معذرة .

- ان المرأة السعيدة يجب أن تكون متكبرة شيئا ما أما وداعة السى فأظن أنها نابعة من احساس بالانكسار كانت الحياة قاسية جدا لها .

- كيف .. كيف تزوجت زوجها ؟

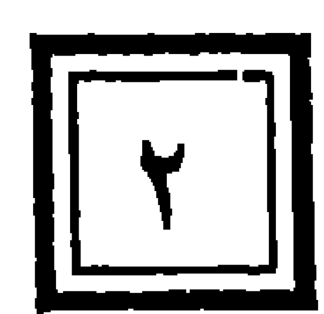
- كان فيليب كلايتون شابا جذابا جدا .. كان وما زال على شئ كبير من الفتنة . وكان يملك ثروة لا بأس بها ، ولم نجد أحدا لكى يخبرنا بحقيقة طباعه . وكنت أرملة منذ وقت طويل ، ولا يمكن لامرأتين تعيشان وحدهما تقدير الأمور .

قال هارولد فى تفكير :

- نعم .. هذا صحيح .

وتنازعه احساس من الشفقة والسخط . لم تكن السى كلايتون قد تجاوزت الخامسة والعشرين من عمرها . ورأى فى مخيلته عينيها الزرقاوين الصافيتين وشفتيها الرقيقتين

وأدرك فجأة أن الاهتمام الذى يوليها اياه قد تجاوز حدود الصداقة .



انضم هارولد الى الأم والإبنه بعد العشاء . وكانت السى ترتدى ثوبا ورديا جميلا . ولم يكن هناك شك فى أنها كانت تبكى ، لأن عينيها كانتا حمراوين .

وقالت مسز رايس فى مرح :

– اننى عرفت من هما المرأتان الشريرتان يا مستر وارين . قال لى البواب انهما بولونيتان من أسرة كريمة .

نظر وارين ناحية السيدتين البولونيتين ، وقالت السى فى اهتمام :

– هاتان المرأتان .. ؟ اللتان تصبغان شعرهما .. ؟ ان فيهما شيئا كئيبا .. لا أدرى لماذا ؟

قال هارولد فى انتصار :

– هذا نفس ما أقول .

راحت مسز رايس تضحك . وقالت :

– ان أمركما مضحك . لا يمكن الحكم على الناس من مظهرهم .

قالت السى بطيبة خاطر :

– كلا ، طبعا . ولكن هيئتهما أشبه بهيئة الطيور الجوارح .

وقال هارولد :

– الجوارح التى تنتزع العيون من الجثث .

صاحت المرأة الشابة مفزوعة :

– أوه ، لا تقل هذا .

- معذرة .

قالت مسز رايس :

- على كل حال ليست هناك أية فرصة فى أن تعترض أى منهما طريقنا .

قالت السى :

- ليس هناك ما يثقل ضمائرنا على كل حال .

قالت مسز رايس وهى تغمز بعينيها :

- قد يكون هناك ما يثقل ضمير مستر وارين .

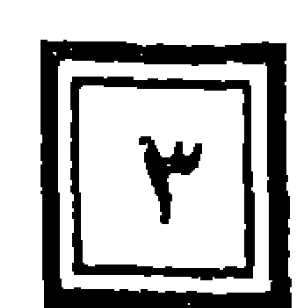
- أبدا .. أن حياتى كتاب مفتوح .

وعلق يقول على الفور :

- ما أحمق الناس الذين يتنكبون الطريق القويم .

الضمير النظيف هو كل ما يحتاجه المرء فى الحياة . فبه يستطيع أن يواجه العالم أجمع ، وأن يبعث الى الجحيم كل من يعترض طريقه .

وأحس فجأة بأنه قوى جدا ، وأنه سيد مصيره بغير منازع .



كان هارولد وارنج كالكثيرين من مواطنيه لا يجيد من اللغات غير لغته الأصلية ونعنى بها الانجليزية ، وكانت معرفته بالفرنسية سطحية .ولكنه لم يكن يعرف كلمة واحدة لا من الالمانية ولا الايطالية .

ولم يضايقه هذا الأمر كثيرا حتى اليوم ، ففى أغلب فنادق القارة يقع دائما على شخص يتكلم الانجليزية .

ولكن فى هذا المكان المنعزل الذى كانت اللغة السائدة فيه مشتقة من السلوفاكية كان البواب وحده هو الذى يتكلم الألمانية ، وقد تكدر هارولد لأنه وجد نفسه مضطرا الى

الاستعانة باحدى زميليته لترجمة ما يريد . وكانت مسز رايس تعرف كثيرا من اللغات ، بل كانت تعرف قليلا من السلوفاكية .

وقرر هارولد أن يتعلم الالمانية ، وكان الجو جميلا ، وبعد أن كتب بضعة خطابات رأى أن يتمشى قليلا ، اذ كان لا يزال باقيا على موعد الغداء ساعة ، فمضى الى البحيرة ومنها الى غابة الصنوبر ، ومرت به نحو خمس دقائق وهو يمشى عندما تناهى الى أذنيه صوت كان من المتعذر أن يخطئه ، فعلى بعد بضعة أمتار منه كانت هناك امرأة تبكى من قلب مكلوم .

تردد هارولد لحظة ، ثم اتجه الى المكان الذى يصدر منه الصوت . كانت السى كلايتون جالسة فوق جذع شجرة تبكى ، وقد دفنت وجهها بين يديها ، فقال فى هدوء :

– مسز كلايتون .. السى ..

أجفلت المرأة الشابة بشدة ، ورفعت عينيها اليه فجلس بجوارها ، وقال فى اخلاص :

– هل أستطيع أن أفعل شيئا ؟

ولكنها هزت رأسها وقالت :

– كلا .. كلا .. أنك كريم جدا .. ولكنك لا تستطيع أن تعمل شيئا من أجلى .

سألها فى ارتباك .

– هل .. يكون زوجك هو سبب بكائك ؟

هزت رأسها بالايجاب ، ثم جففت دموعها ، وأخرجت بدارتها وهى تحاول أن تسترد جأشها ، وقالت فى صوت مضطرب :

– لا أريد أزعاج أمى ، فهى تحس بالقلق الشديد عندما ترانى شقية . وقد أتيت هنا لكى أبكى كما يحلو لى . وهذا غباء منى طبعا فان البكاء لا ينفع .. ولكن أحيانا . تبدو الحياة لا تطاق .

قال هارولد :

- أننى حزين جدا من أجلك .

رمته بنظرة امتنان ثم أسرعت تقول :

- ان الغلطة غلطتى طبعا ، فقد تزوجت فيليب بمحض ارادتى . واذا كانت الأمور قد ساءت ، فان اللوم يقع على أنا وحدى .

- أنت شجاعة اذ تأخذين الأمور على هذا المحمل .

هزت رأسها وقالت :

- أوه ، كلا ، لست شجاعة .. لست شجاعة أبدا . أننى جبانة جدا . وهذا ما يضايقنى مع فيليب ، فهو يخيفنى ، وعندما يتملكه الغضب أكاد أموت من الخوف .

صاح هارولد :

- ولكن يجب أن تهجريه .

- اننى لا أجرؤ .. فهو .. لن يتركنى أرحل .

- هذا سخيف .. ولماذا لا تطلبين الطلاق ؟

- ليست لدى أسباب قانونية .

ورفعت رأسها وأردفت :

- كلا ، يجب أن أرضى بمصيرى ، وأنا كما تعلم أقضى أكثر أوقاتى مع أمى ، ولا يجد فيليب فى ذلك أى مانع ، خاصة اذا ما أقمنا فى أماكن بعيدة عن العمران كهذه .

واحمر وجهها وترددت قليلا قبل أن تستطرد :

- ولكنه شديد الغيرة ، واذا .. اذا حدث وتكلمت مع أحد مجرد كلام بسيط فانه يحيل حياتى جحيما .

ازداد سخط هارولد ، فقد سمع كثيرا من النساء يشكين من غيرة أزواجهن . وكان يتعاطف معهن من سويداء قلبه ، ولكنه كان يعطى لأزواجهن الحق فى غيرتهم ، ولكن المسى كلايتون لم تكن من أولئك النساء المتقلبات ، ولم يحدث أبدا أن رمته بنظرة دلال .

وابتعدت السى وهى ترتعش ، ورفعت عينيها نحو السماء ، وقالت :

- ان الشمس احتجبت والجو بارد . من الأوفق أن نعود الى الفندق فقد حان وقت الغداء .



عاد هارولد الى غرفته فى تلك الليلة بعد العاشرة بقليل ، وكان ساعى البريد قد أقبل ، وجاءته من انجلترا رسائل كثيرة ، كان بعضها يحتاج الى رد عاجل .

وارتدى بيجامته وفوقها الروب دى شامبر ، وجلس أمام المنضدة ، وفرغ من كتابة ثلاث رسائل ، وبدأ يكتب الرابعة عندما فتح الباب فى قوة ، واندفعت السى كلايتون الى الداخل .

نهض هارولد مسرعا . وكانت السى قد دفعت الباب خلفها ووقفت تتشبث بحافة الصوان . كانت شاحبة اللون ، شحوب الموتى ، وتتنفس فى صعوبة ، وقد استولى عليها خوف عظيم وتمتمت تقول :

- انه زوجى ..عاد فجأة ..أظن ..أظن أنه يريد أن يقتلنى ..انه مجنون .. مجنون .. أحمق .. لا تدعه يعرف مكانى .

وتقدمت بضع خطوات ، وكانت ترتعش بحيث أوشكت أن تقع . وفى هذه اللحظة بالذات فتح الباب فجأة ، ووقف بعتبته رجل . كان معتدل القامة ، له حاجبان كثيفان ، وشعر أسمر ناعم ، ويلوح بمفتاح انكليزى فى يده ، وقال فى صوت يغلى من الغضب :

- كانت البولونية على حق اذن .. انك تقضين وقتك مع هذا الرجل ..

صاحت :

- كلا يا فيليب ، كلا .. هذا غير صحيح .. انك مخطئ ..

وتقدم الرجل متوعدا ، ولكن هارولد اعترض طريقه ، ووقف بينه وبين المرأة الشابة .

وصاح فيليب :

– أنا مخطئ ، في حين أجدك في غرفته .. أيتها العاهرة .. أنني سأقتلك .

وحاول أن يبعده هارولد لكي لا يصل الى السي ، وأطلقت هذه الأخيرة صيحة ، وغير هارولد مكانه ليحمي السي بجسده ، ولكن فيليب لم يكن في ذهنه غير شيء واحد ، وهو الامساك بزوجته . واستولى الفزع على المرأة الشابة ، واندفعت من خلال الباب المفتوح ، واندفع زوجها خلفها . وتبعهما هارولد دون أن يتردد لحظة واحدة .

كانت السي قد أسرعت الى غرفتها التي تقع في آخر الممر . وسمع هارولد صوت مفتاح يدور في القفل ، ولكن فيليب كلايتون كان أسرع منها ، فقد دفع الباب بكتفه دفعة قوية ، ودخل الغرفة . وأطلقت السي صيحة فزع وأسرع هارولد الى نجدتها .

وقفت الفتاة بجوار النافذة ، وتشبثت بالستارة ، وهي في قمة الفزع ، وهجم فيليب كلايتون عليها ، وهو يلوح بالمفتاح الانجليزي . وصرخت السي وقد استبد بها الخوف وأمسكت ثقالة ورق من الرخام ، وقذفته بها على رأسه .

وانهار كلايتون على الفور ، ووقف هارولد كالمصعوق بعتبة الباب وارتمت المرأة الشابة على ركبتيها بجوار زوجها الذي لا يرحم .

وصدر من الممر صوت مزلاج يزاح عن مكانه خلف أحد الأبواب ، فاعتدلت السي على الفور ، وأسرعت الى هارولد ، وقالت في صوت مضطرب :

– أرجوك .. عد الى غرفتك .. ان بعضهم قادم وسيجدونك هنا ..

كان كلايتون عاجزا عن الحركة في الوقت الحالي . ومن الجائز أن بعضهم قد سمع صراخ السي ، واذا وجدوه معها في غرفتها فلن يكون في ذلك الا تعقيدا للموقف ، وزيادة في سوء التفاهم ، وكان من الأفضل له ولها أن يتجنب الفضيحة .

وما كاد يعود الى غرفته حتى سمع بابا يفتح .

ولم ينم ، فقد كان يعرف أن السي يجب أن تأتي ان عاجلا أو آجلا . وانتظر نحو

الساعة . ثم سمع طرقة خفيفة على الباب .

ولم تكن السى هى التى أقبلت ، وانما أمها ، وساءه منظرها ، فقد بدا أنها شاخت وكبرت عشر سنوات . كان شعرها مشعثا ، وحول عينيها هالات سوداء واضحة .

وقدم لها مقعدا على الفور فجلست وهى تتنفس فى صعوبة .

– انك شديدة الاضطراب يا سيدتى . هل أستطيع أن أقدم لك شيئا ؟

هزت رأسها وقالت :

– كلا ، لا تهتم بى فأنا على ما يرام . انما هو رد الفعل لا أكثر يا مستر وارنج . لقد حدث شئ فظيع .

– هل اصابة كلايتون خطيرة ؟

– ان الأمر أسوأ من ذلك . لقد مات .

٥

بدأ كأن الغرفة تدور به ، ووقف بضع لحظات لا يستطيع النطق ، ثم قال أخيرا فى صوت مبحوح :

– مات ؟

قالت مسز رايس فى اعياء :

– اصابته زاوية الثقالة فى صدغه ، فوقع وارتطمت رأسه بالحافة الحديدية للمدفأة ، ولا أدرى أى الاصابتين قتلته . ولكنه مات على كل حال .. أننى رأيت الموت أكثر من مرة بحيث لا يمكن أن أخطئه .

كارثة .. كارثة .. كارثة .. لم يستطع أن يفكر فى شئ آخر ، وقال فى حدة :

– انه حادث .. وقد رأيته أنا نفسى .

قالت مسز رايس فى صوت خافت :

- تماما .. أعرف ذلك . ولكن .. ولكن .. هل يصدق أحد ذلك .. ؟ صراحة أنا خائفة .. فنحن لسنا فى انجلترا .

قال الشاب فى بطء :

- أستطيع أن أؤيد أقوال السى .

- نعم . ويمكنها هى أن تؤيد أقوالك .. هو ذلك .

وكان هارولد ذكيا وحريصا ، فأدرك ما تعنيه ، كما أدرك ضعف موقفهما .

كان قد قضى الجزء الأكبر من وقته مع السى ، ومن ناحية أخرى رأتهما احدى البولونيتين فى غابة الصنوبر فى ظروف مورطة بعض الشئ . ويبدو أن البولونيتين لا تتكلمان الانجليزية ، ولكن لاشك أنهما تفهمان منها بعض الكلمات كالغيرة والزوج ، ومهما يكن فان غيرة كلايتون قد أثارها ما نقل اليه .. وكان هو ، هارولد موجودا فى غرفة السى عندما مات زوجها . ولا شئ يثبت انه لم يضرب فيليب كلايتون بالثقل .. وان الزوج الغيور لم يفاجئ زوجته بين ذراعيه . ليس هناك ما يثبت العكس غير قوله وقول السى فهل يصدقونهما .

وأحس فجأة ببرودة الخوف تسرى فى بدنه .

كلا . من المحال أن يصدق لحظة واحدة أن فى الامكان الحكم عليهما ، هو والسى ، بالاعدام لجريمة لم يرتكباها لا يمكن اتهامهما الا بجريمة القتل الخطأ ، ولكن هل تعترف مثل هذه البلاد بجريمة القتل الخطأ ؟ وعلى فرض ان براءتهما ظهرت فسيكون هناك التحقيق .. وستنشر الجرائد النبأ .. سياسى شاب ذو مستقبل .. وزوج غيور .. وزوجة جميلة .. سوف تقضى هذه الفضيحة على مستقبله .

وقال يسأل فجأة :

- ألا يمكننا أن نتخلص من الجثة وأن نتركها فى مكان ما ؟

واصطبغ وجهه أمام نظرة الاستهجان التى رمته بها مسز رايس .

- أى عزيزى هارولد .. أننا لا نواجه رواية بوليسية ان مثل هذه المحاولة لهى الجنون بعينه .

قال :

- نعم ، طبعا . ولكن ما العمل .. ؟ يا الهى .. ما العمل .. ؟

هزت مسز رايس رأسها عابسة ، وراحت تفكر فى يأس وعاد هارولد يقول فى اصرار:

- ألا نستطيع أن نفعل شيئا .. ؟ أى شئ لنتجنب هذه الكارثة .

تأوهت مسز رايس قائلة :

- السى .. ابنتى .. أننى لأفعل أى شئ من أجلها . ان مثل هذه الفضيحة قد تقتلها.. وقد تتسبب فى ضياعك وضياع مستقبلك أنت أيضا .

قال هارولد فى مشقة :

- لا تهتمى بأمرى أنا .

- وهذا ظلم .. خصوصا وأنا أعلم أنه ليس بينكما أى شئ .. ولكن الناس ..

- نعم .. وزيادة فى المصيبة فاننا لسنا فى انجلترا .

رفعت مسز رايس رأسها وقالت :

- ولكن .. هذا صحيح .. أننا لسنا فى انجلترا . وأننى أتساءل اذا لم يكن فى الاستطاعة .

أسرع هارولد يقول :

- ماذا ؟

وسألته مسز رايس فى لهفة :

- كم معك من النقود ؟

- مبلغ بسيط ، ولكننى أستطيع أن أطلب مبلغا كبيرا تلغرافيا .

قالت مسز رايس فى مرارة :

- اننا بحاجة الى مبلغ جسيم .. مهما يكن فأظن أن فى مقدورنا أن نحاول .

رأى هارولد قبسا من الأمل وقال :

- ما هى فكرتك ؟

- اننا لا نملك أية وسيلة لاخفاء الجثة ، ولكننى أظن أن من الممكن أن نتكتم هذه المسألة رسميا .

قال هارولد وقد ازداد أمله ، وان كانت امارات الذهول وعدم التصديق قد ارتسمت على ملامحه :

- أتظنين هذا حقا ؟

- نعم . ومهما يكن فان مدير الفندق سيكون فى صفنا ، فلا مصلحة له فى اذاعة الخبر ، وأرى بالتجربة أن فى الامكان شراء أى شخص فى البلقان .. أما البوليس فلا ريب أنه أكثر فسادا من المدنيين .. ومن حسن الحظ أننى أشعر أن ما من أحد فى الفندق قد اهتم بما حدث .

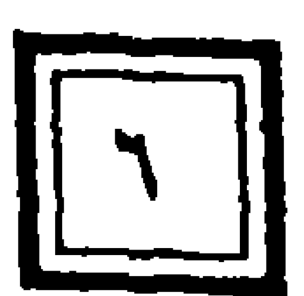
- ومن الذى يشغل الغرفة المجاورة لغرفة السى ؟

- البولونيتان .. انهما لم تسمعا شيئا والا لخرجتا الى الممر للاستطلاع .

وقد جاء فيليب فى وقت متأخر ولم يره أحد ، فيما عدا البواب ، ومن يدرى ، لعلنا نستطيع الحصول على شهاد وفاة عادية .. ؟ المهم أن نرشو من بيدهم الأمر كما يجب .. ولا ريب أن أول من يجب أن نرشوه هو مدير البوليس نفسه .

قال هارولد وهو يبتسم ابتسامة باهتة :

- هذه مسألة مضحكة .. ولكن فى مقدورنا أن نحاول ..



٦

أبدت مسز رايس طاقة وجهدا كبيرين ، فبدأت بان استدعت مدير الفندق ، وبقى

هارولد فى غرفته ، فقد تم الاتفاق على أن تتولى السيدة العجوز كل شئ بنفسها وأن يكون هو بمنأى عن كل شئ . وستزعم أن شجارا وقع بين الزوجين ،وسيكون فى شباب السى وجمالها ما يحمل الجميع على التعاطف معها .

وفى صباح اليوم التالى أقبل بعض رجال البوليس ودخلوا غرفة مسز رايس ، وانصرفوا مع الظهر . وكان هارولد قد أبرق فى طلب النقود ، ولكنه بقى بعيدا عن المفاوضات ، والواقع أنه ما كان باستطاعته أن يفعل شيئا ، لأن أيا من هؤلاء الرجال الرسميين لم يكن يعرف الانجليزية .

وبعد الظهر بقليل جاءت مسز رايس الى غرفته ، وكانت شاحبة وبادية الاعياء ، ولكن أمارات الأرتياح التى بدت فى عينيها كانت كافية وحدها ، وقالت فى بساطة :

- أفلحنا .

- الحمد لله . انك كنت رائعة . أننى لا أكاد أصدق .

- بالسهولة التى جرت بها الأمور يخيل لى أن الأمر عادى جدا .. كانوا يمدون أيديهم بكل بساطة .. وهذا والله يغيظ ..

قال هارولد فى حدة :

- ليس الوقت مناسبا لانتقاد الموظفين الرسميين ..كم .. ؟

- ان المبلغ جسيم .

وقرأت عمودا من الأرقام أمام قائمة من الأسماء :

رئيس البوليس .

مفتش البوليس .

الطبيب الشرعى .

مدير الفندق .

بواب الفندق .

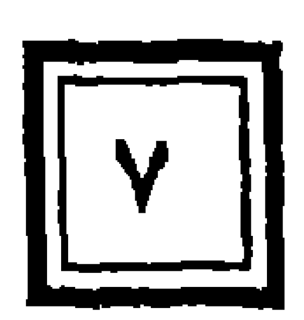
ولم يعلق هارولد على ذلك الا بقوله :

- ان البواب لم يأخذ شيئا تقريبا .

- ذلك أنه طبقا للرواية الرسمية لم تقع الوفاة في الفندق ، فقد قيل أن فيليب أصيب بأزمة قلبية ، ووقع من القطار أثناء سيره ، فدق عنقه على الفور ، وأنت تعلم أنهم يتركون أبواب القطار مفتوحة . ان البوليس فى مقدوره أن يفعل كل شئ حقا متى أراد .

- لحسن الحظ أن بوليسنا يختلف عنهم بكثير .

وهبط لتناول الغداء وهو يحس بتفوقه البريطانى .



بعد أن فرغ هارولد وارين من تناول الغداء ، انضم الى مسز رايس وابنتها ، لتناول القهوة ، فقد رأى أن لا يغير شيئا من عاداته .

ولم يكن قد رأى السى بعد أحداث الليلة الماضية . كانت شاحبة جدا ، وكانت لا تزال تضطرب تحت تأثير الصدمة التى وقعت لها . ولكنها كانت تبذل مجهودا كبيرا لكى تتصرف كعادتها .

وحاولوا اكتشاف جنسية ضيف وفد حديثا . كان من رأى هارولد أنه فرنسى بسبب شاربه الكبير ، وحسبته السى ألمانيا ، أما مسز رايس فقالت أنه اسبانى .

وكانوا وحدهم فى الشرفة فيما عدا البولونيتين . ولم يملك هارولد من أن يشعر برجفه ، كما يفعل دائما عندما تقع عيناه عليهما .

وأقبل أحد السقاة وقال لمسز رايس ان هناك من يطلبها ، فنهضت وتبعت الساقى ، وكان ينتظرها عند مدخل الفندق شرطى يرتدى ثيابه الرسمية .

ولم تملك السى الا أن تكتم صيحة وتقول :

- هل .. هل تظن أن شيئا ما قد حدث ؟

أسرع هارولد يقول :- كلا ، كلا .

ولكن قلبه انقبض . وأردف يقول :

- لقد كانت أمك رائعة .

- نعم .. ان أمى لا تقبل الهزيمة أبدا .. ولكن الأمر كان فظيعا

- الحمد لله أن كل شئ قد انتهى الان ..

قالت السى فى صوت خافت :

- لا أستطيع أن أنسى .. فأنا التى قتلته .

- دعك من هذه الأفكار .. كان الأمر مجرد حادث ، وكنت تعرفين ذلك .

انبسطت أسارير الفتاة شيئا ما وأردف هارولد :

- لقد أصبح هذا فى الماضى على كل حال . والماضى لا يعود ، فحاولى أن تنسيه .

وعادت مسز رايس ، وأدرك من ملامحها ان كل شئ على ما يرام . فقالت فى شئ من المرح :

- انه أخافنى .. ولكنه كان يريد أن أوقع على بعض الأوراق . لم يعد هناك ما نخشاه، وأظن أننا نستطيع أن نشرب شيئا الآن ، فقد استحققنا ذلك عن جدارة .

وطلبوا ما أرادوا من شراب ، ورفعوا كئوسهم . وقالت مسز رايس :

- نخب المستقبل .

وابتسم هارولد لالسى وقال لها :

- نخب سعادتك .

ردت اليه ابتسامته . وقالت بدورها وهى ترفع رأسها :

- ونخب .. نجاحك . انى واثقة انك ستصبح رجلا عظيما .

وبعد الخوف الذى استبد بهم ، أحسوا بالمرح ، واستخفهم الطرب ، فقد انقشعت الغمة، وأصبح كل شئ الآن على ما يرام .

ومن الناحية الأخرى من الشرفة نهضت المرأتان ذات الملامح الكاسرة ، ثم اقتربتا من أصحابنا الثلاثة .

وأومأتا برأسيهما لمسز رايس وجلستا بجوارها ، وبدت احداهما تتكلم و بينما قنعت الأخرى بالنظر الى السى وهارولد فى اصرار ، وعلى شفتيها شبح ابتسامة .. ابتسامة بغيضة .

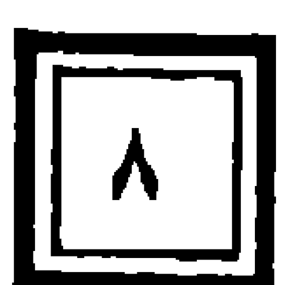
وكانت مسز رايس تصغى الى حديث الأخرى ، وترد من وقت لآخر بكلمة أو كلمتين . ولم يفهم هارولد شيئا من حديثهما ، ولكن كل المرح كان قد زال من وجه مسز رايس من جديد .

ونهضت الأختان أخيرا ، وبعد ايماءة من رأسيهما عادتا الى الفندق . وسألها هارولد ملهوفا :

– ما الخبر ؟

أجابت مسز رايس فى يأس :

– ان هاتين المرأتين تريدان تهديدنا وابتزاز أموالنا أنهما سمعتا كل شئ أمس ، واذا حاولنا اخفاء الأمر كله فقد أصبح كل شئ الآن أسوأ من ذى قبل .



كان هارولد وارنج واقفا على شاطئ البحيرة . وكان يمشى منذ ساعة محموما يحاول أن يتغلب على اليأس الذى استولى عليه ، وبلغ المكان الذى رأى فيه لأول مرة المرأتين الكاسرتين اللتين تقبضان بمخلبيهما على مصيره ومصير السى . وقال فى صوت مرتفع :

– لعنة الله عليهما .. يا لهما من شريرتين !

وسمع سعالا خفيفا عندئذ ، فتحول ورأى نفسه وجها لوجه أمام الرجل الغريب ذى الشارب الكبير . ولا ريب أنه سمع العبارة التى نطق بها ، وهو فى سورة يأسه ، وأحس

بالارتباك ، ولم يسعه الا أن يقول :

- آه .. صباح الخير .

أجابه الآخر فى انجليزية سليمة :

- يبدو أنه صباح غير جميل بالنسبة لك .

- ولكن .. ماذا ..

- انك تعانى ضيقا يا سيدى فهل أستطيع مساعدتك ؟

- أوه ، كلا . شكرا جزيلا .. اننى .. اننى أحس بشئ من الانفعال ، وهذا كل شئ /

- ولكن يخامرنى احساس بأننى أستطيع مساعدتك ولعلنى لا أخطئ اذا ربطت مشاكلك بهاتين السيدتين اللتين كانتا فى الشرفة منذ قليل .

نظر هارولد اليه ، وقد زاد اهتمامه وقال :

- هل تعرف شيئا عنهما ؟ .. ولكن من أنت أولا ؟

أجاب الرجل القصير كما لو كان سليل ملك :

- أنا هركيول بوارو . تعال نتمشى قليلا فى الغابة ، حيث يمكنك أن تروى لى قصتك..

لم يدر هارولد أبدا ما الذى حمله على أن يروى قصته كلها لهذا الرجل الغريب الذى لم يعرفه الا منذ قليل .. لعله الافراط فى الانفعال .

وأصغى بوارو اليه فى صمت ، مكتفيا بأن يهز رأسه من وقت لآخر فى اهتمام . وعندما فرغ هارولد من قصته تكلم أخيرا فقال :

- انك زججت بنفسك فى موقف بغيض .

قال هارولد فى فروغ صبر :- لا حاجة بك الى أن تقول لى ذلك .

واستطرد هركيول بوارو :

- تهديد وابتزاز .. ان هاتين المرأتين سترغمانك على الدفع ، والدفع باستمرار . ولكن

ماذا يحدث لو انك تحديتهما ؟

قال هارولد فى مرارة :

- لقد انتهى كل شئ ، وتحطم مستقبلى ، وستقضى امرأة شابة طوال حياتها فى جحيم . والله وحده يعلم لماذا ؟

- نعم . يجب أن نفعل شيئا .

- ماذا ؟

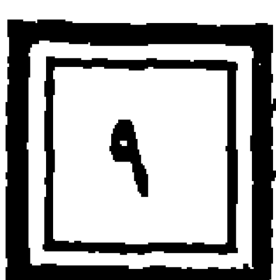
أطبق هركيول بوارو عينيه نصف اطباقة ، وحسبه هارولد مجنونا حين سمعه يقول :

- حان الوقت لاستخدام الصناجات البرونزية .

- هل جننت ؟

هز الآخر رأسه وأجاب :

- كلا . ولكن هذا هو العمل الوحيد الذى يجب أن أقوم به . تجمل بالصبر بضع ساعات أخرى يا صديقى . ربما أستطيع غدا صباحا أن أنقذك من براثن هاتين المرأتين الكاسرتين .



عندما هبط هارولد وارنج فى صباح اليوم التالى وجد هركيول بوارو جالسا فى الشرفة وكانت وعوده قد أحدثت تأثيرها فيه على الرغم منه ، فاقترب منه وسأله فى قلق :

- حسنا ؟

- انتهى كل شئ .

- ماذا تعنى ؟

- انتهى كل شئ بطريقة مرضية .

- ولكن ما الذى حدث ؟

- استخدمت الصناجات البرونزية .. نعم .. أو اذا أردت أن أتكلم بلغتك استخدمت أسلاك البرق .. ان المرأتين الآن فى مكان يمنعهما من مباشرة أعمالها مدة من الزمن .

- هل كان البوليس يبحث عنهما ؟ .. هل ألقوا القبض عليهما ؟

- تماما .

تنهد هارولد فى قوة وقال :

- ولكن هذا رائع .. ما كنت أظن أبدا .. (ونهض واقفا) . يجب أن أخبر مسز رايس والسى ..

- أنهما تعرفان .

- آه ، حسنا (وعاد فجلس) . قل لى كيف .. ولكنه أمسك عن الكلام فجأة .

فقد أقبلت المرأتان الضاربتان فى هذه اللحظة من ناحية البحيرة .

- ولكنك قلت لى أن البوليس ألقى القبض عليهما ؟

نظر هركيول بوارو الى حيث ينظر الشاب ثم قال :

- أوه .. هل تعنى هاتين السيدتين ؟ ولكنهما امرأتان مسالمتان ، ليس فيهما ما يريب .. أنهما بولونيتان من أسرة محترمة ، وان كان مظهرهما لا يسر العين .

- ولكننى لا أفهم شيئا .

- كلا . الواقع أنك لا تفهم . ان البوليس كان يبحث عن المرأتين الأخريين . مسز رايس البارعة ومسز كلايتون الباكية .. انهما امرأتان شريرتان ، تعيشان من التهديد والابتزاز يا صديقى العزيز .

أحس هارولد بأن الأرض تميد تحت قدميه . وقال فى اعياء :

- ولكن .. الرجل .. أعنى ذلك الذى قتل ؟

- ان أحدا لم يقتل .. لم يكن هناك أى رجل .

- ولكننى رأيته بعينى رأسى .

– أبدا ، ان مسز رايس بصوتها الخفيض تقوم بالدورين خير قيام .. انها قامت بدور الرجل بعد أن خلعت باروكتها وتنكرت شيئا ما .

وانحنى بوارو وربت بيده على ركبة الشاب وقال :

– لا يجب أن يكون المرء ساذجا فى هذه الدنيا يا صديقى . لا يمكن شراء بوليس أى بلد بهذه البساطة ، خصوصا اذا كانت هناك جريمة قتل . وقد احتمت مسز رايس بكل شئ . لأنها تتكلم الفرنسية والألمانية . وصحيح أن البوليس جاء الى غرفتها ، ولكن ما الذى حدث ؟ .. إنك لا تعرف . لعلها زعمت أنها فقدت اسورة أو حلية ما . ولكنك رأيت رجال البوليس وهذا هو المهم . وقد طلبت أن يرسلوا اليك نقودا تلغرافيا ، وأعطيتها لمسز رايس التى تهتم بكل شئ . هذا هو ما حدث . ولكنهما امرأتان ضاريتان لا تشبعان ، ورأتا الكراهية التى تحس بها نحو البولونيتين المسكينتين فخطر لهما أن يستغلا الفرصة ، ولم تستطع مسز رايس أن تقاوم فبدأت اللعبة من جديد ، بعد أن تبادلتا معهما حديثا بريئا .. وكان لابد لك من نقود أخرى .

بذل هارولد مجهودا جبارا وقال :

– والسى .. السى .

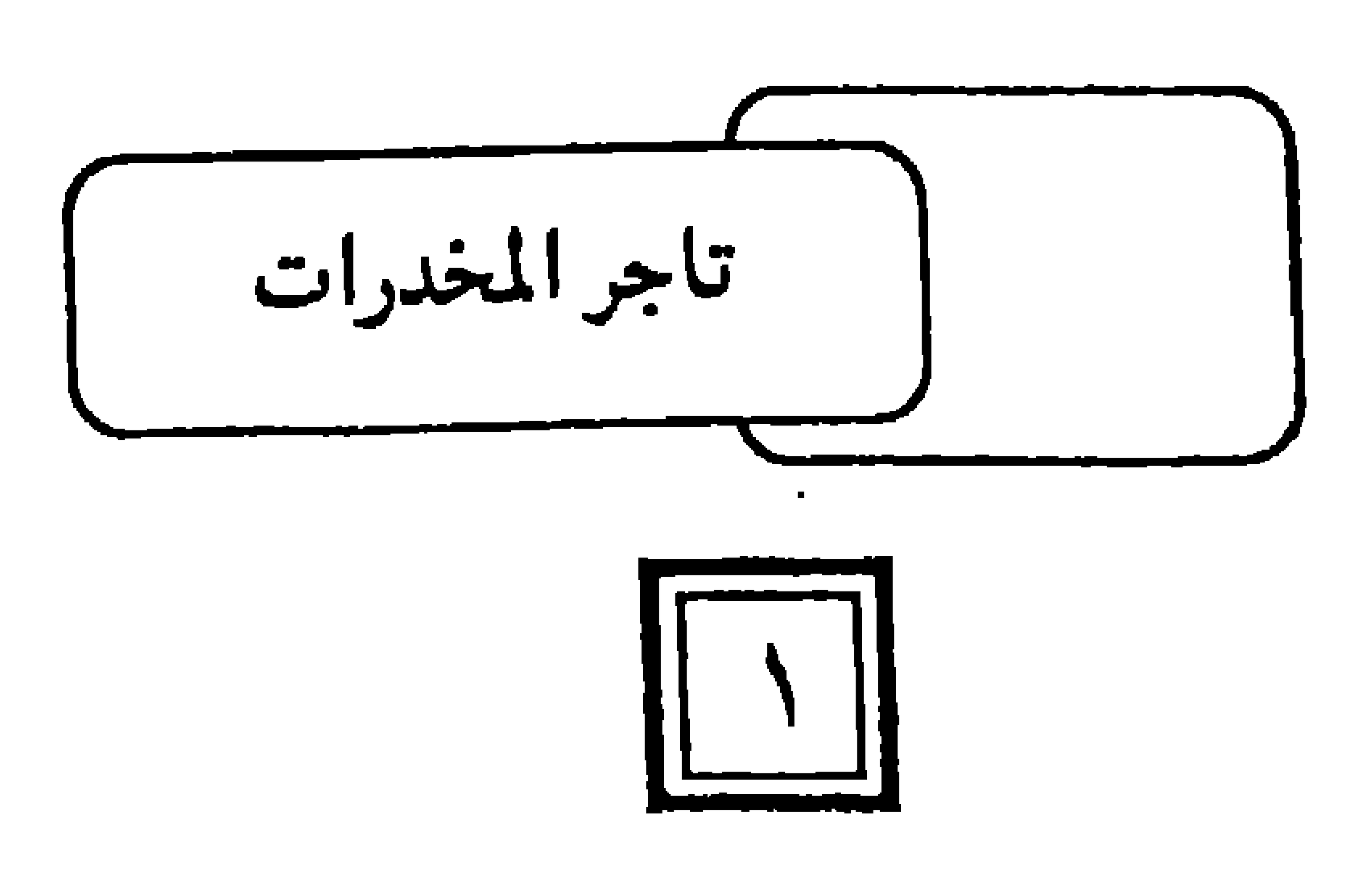
تحاشى بوارو النظر اليه وأجاب :

– انها قامت بدورها خير قيام ، وهى تجيد القيام به دائما فهى ممثلة قديرة .. كل ما بيها نقى وطاهر وبرئ .. تعرف كيف تحرك نخوة الرجال ومروءتهم .. وهذا أمر يفلح دائما مع الانجليز .

تنهد هارولد تنهيدة كبيرة وقال فى اصرار :

– سأبدأ العمل منذ الآن .. وأتعلم كل اللغات الأوروبية . لن يجرؤ أحد على خداعى مرة أخرى

***



تاجر المخدرات

١

دق جرس التليفون وقال المتحدث :

– آلو .. أهذا أنت يا بوارو ؟

عرف هركيول بوارو صوت الدكتور الشاب ما يكل ستودارت . كان يشعر بالميل اليه ، ويحب ابتسامته البشوشة التى يعتريها الحياء واهتمامه الساذج بقضاياه . وكان يحترم فيه ضميره المهنى .

قال الشاب بعد تردد :

– ما كنت أحب أن أضايقك ..

– هل هناك ما يضايقك أنت ؟

أجاب مايكل ستودارت فى ارتياح ظاهر :

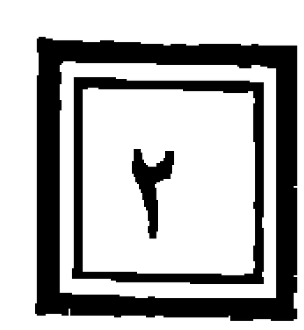
– نعم .

– حسنا . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك يا صديقى ؟

– اننى .. ولكن لا شك أنك ستجدنى عديم الذوق اذا أنا طلبت منك أن تأتى الآن .. ولكن .. أننى .. أنا فى ورطة حقا .

– حسنا .. أننى قادم حالا .. هل أنت فى البيت ؟

– كلا .. أننى الآن فى البيت رقم ١٧ بطريق كوننجتون . هل تستطيع أن تأتى حقا .. سأكون ممتنا جدا لك .



راح بوارو يمشى فى الشارع المظلم وهو يحاول أن يتبين أرقام المنازل . وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحا ، وأوى أغلب الناس الى فراشهم ، ولكن كانت لا تزال هناك أنوار تنبعث من بعض النوافذ .

وعندما بلغ المخبر السرى البيت رقم ١٧ فتح الباب ، وظهر الدكتور ستودارت على عتبته وقال :

- أنت رجل كريم حقا . هل لك أن تصعد .

وأفضى بهما سلم ضيق الى الطابق العلوى ، وعلى اليمين ، فى أعلى الدرج كانت هناك غرفة كبيرة مفروشة بالأرائك والسجاجيد والوسائد ، وبها عدد كبير من الزجاجات والكئوس التى تحطم بعضها ، وبقايا السجائر فى كل مكان .

وقال بوارو :

- أى عزيزى واطسون .. يخامرنى احساس بأن هذه الغرفة شهدت حفلة صغيرة .

قال الطبيب :

- نعم ، ولكنها لم تكن صغيرة وانما كانت صاخبة .

- ألم تكن أنت من بين الحاضرين ؟

- كلا .. انما أتيت أخيرا بصفتى طبيبا .

- ماذا حدث ؟

- هذا المسكن ملك لمسز باشيانس جريس .

قال بوارو :

- اسم جميل وجذاب .

- ليس هناك أى جمال ولا أية جاذبية فى مسز جريس .. أوه .. أنها ليست دميمة .. تزوجت مرتين أو ثلاث مرات ، وهى تلقى شباكها الآن على رجل تشك فى اخلاصه لها .

لقد بدأوا بتناول الشراب ، ثم راحوا يتعاطون المخدرات .. الكوكايين بالذات ، ومن خصائص هذا المخدر أن من يفرط فى تعاطيه تتملكه العصبية ويصبح سريع الغضب . وقد تشاجرت مسز جريس مع حبيبها ، وهو رجل بغيض يدعى هوكر ، وكانت النتيجة أنه انصرف .. وانحنت مسز جريس فوق النافذة ، وأطلقت عليه الرصاص من مسدس صغير جديد أهداه لها أحد معجبيها .

سأله بوارو :

– وهل أصابته ؟

– لم تصبه هو ، فقد مرت الرصاصه على بعد بضعة أمتار منه ، ولكنها أصابت رجلا بائسا كان يفتش فى صندوق القمامة . وقد جرح المسكين فى ذراعه الأيمن ، وأثار الحى كله بهياجه ، وجيئ به هنا . وكان يفقد الكثير من دمه .. ولهذا استدعونى .

– وبعد ذلك ؟

– عالجته وضمدت جرحه ، وهو جرح غير خطير . واستطاعوا أن يهدئوه ، بعد أن نقدوه عشرة جنيهات أو ربما عشرين . وكانت فرصة لا بأس بها لهذا المسكين .

– وأنت ؟

– وجدت عملا كبيرا فى انتظارى ، فان مسز جريس كانت فى حالة عصبية شديدة ، فأعطيتها حقنة مهدئة وذهبت بها الى فراشها . وكان لابد من أن أعنى بفتاة فى مقتبل العمر .. كانت غائبة عن الوعى .. أما الباقون فقد بادروا بالفرار ..

– ووجدت متسعا من الوقت لكى تفكر فى الموقف .

– نعم .. لو أن الأمر كان مجرد سكر وعربدة .. ولكن المخدرات شئ آخر .

– هل أنت واثق مما تقول ؟

– كل الثقة .. ليس هناك أى خطأ .. هو الكوكايين ما فى ذلك شك . ثم أنى وجدت بعضا منه فى علبة صغيرة .. وهم يتعاطونه عن طريق الشم ، ولكن من أين يأتون به ؟ .

وقد تذكرت الحديث الذى دار بيننا أخيرا عن تلك الموجة من المخدرات .

قال المخبر السرى :

- سوف يهتم البوليس بحفلة الليلة .

قال الطبيب الشاب فى حماس :

- هو ذلك .

نظر بوارو اليه من جديد فى اهتمام وقال :

- ولكن فيم يضايقك هذا ؟

- هناك دائما أبرياء يتورطون فى مثل هذه الأمور .. وقد يؤثر هذا على مستقبلهم بالغ الأثر .

- هل ينحصر اهتمامك هذا فى شخص مسز باشياتس جريس ؟

- أبدا .. فهى امرأة مدمنة .

قال بوارو فى هدوء :

- اذن . فى الفتاة بلا ريب .

- طبعا .. من ناحية .. ثم أن أمرها غريب .. ومهما يكن فانها لا تجد غضاضة فيما فعلت . ولكنها فى مقتبل العمر ومهووسة .. خالطت ذلك الوسط لأنها أرادت أن تجاريهم فيما يعملون ، حتى لا يقولون عنها أنها من الجيل القديم .

ابتسم بوارو ابتسامة خفيفة وقال :

- هل سبق أن التقيت بهذه الفتاة قبل الليلة ؟

أومأ ما يكل ستودارت بالايجاب ، واضطرم وجهه ، كما لو كان صبيا صغيرا وقال :

- اننى التقيت بها فى مرتونشاير ، فى الحفلة الراقصة التى أقامها هواة الصيد . وأبوها جنرال متقاعد قادم من الهند سريع الغضب ، له أربع بنات غريبات الأطوار ، وهو شئ لا يثير الدهشة مع أب مثل أبيهم ، يعاشرون رفقاء السوء ، والمنطقة تزخر بهم

فالناس هنا فى هذه المنطقة يملكون أموالا كثيرة ، ويبحثون عن الاثارة بكل أنواعها .

نظر بوارو الى محدثه فى تفكير وقال :

- فهمت الآن لماذا استدعيتنى .. تريد منى أن اضطلع بهذه القضية .

- هل تقبل .. ؟ ان واجبى يهيب بى أن أكافح كل هذا ولكننى أود لو أستطيع الذود عن شيلا جرانت ، وأن لا أعرضها لأية دعاية مكدرة .

- قد نستطيع أن نتدبر هذا .. هل أستطيع أن أراها . ؟

- اتبعنى ..

وفى اللحظة التى غادرا فيها الغرفة أطلق بعضهم صرخة فى غرفة مجاورة :

- دكتور .. أرجوك .. أننى أكاد أجن .

تبع بوارو الطبيب الى غرفة نوم مشوشة بشكل غريب ، وكانت هناك امرأة فوق الفراش ، ذات شعر مصبوغ باللون الأشقر وفى عينيها نظرة مبهمة تنطق بالعداء ، وقد راحت تتلوى . وقالت :

- انظر الى هذه الحيوانات المفترسة التى تحوم حولى يا دكتور . أقسم لك أن ما أقول صحيح .. أننى أكاد أجن . يا ، الهى .. أعطنى حقنة أو أى شئ .

ترك بوارو الطبيب يعنى بالمرأة ، ومضى ففتح بابا آخر أفضى به الى غرفة نوم صغيرة قليلة الأثاث ، واقترب من الفراش على أطراف أصابعه ، ونظر الى فتاة ذات شعر أسمر ووجه شاحب .. لا تزال فى ريعان الشباب .

وبمجهود كبير فتحت الفتاة عينيها ، وطوحت بشعرها الى الخلف ، وقالت فى صوت صبيانى مذعور :

- من أنت ؟

- لا تخافى يا آنسة .

- أين الطبيب .

وفى هذه اللحظة دخل الطبيب الغرفة ، فقالت الفتاة فى ارتياح ظاهر :

- آه .. أنت هنا .. ؟ ولكن من هذا الرجل ؟

- انه أحد أصدقائى يا شيلا .. كيف حالك الآن ؟

- على أسوأ ما يكون .. لا أدرى لماذا تعاطيت هذه القذارة ؟

قال مايكل ستودارت فى لهجة جافة :

- لو أننى مكانك لما تعاطيتها بعد ذلك .

- اننى .. لن أفعل بعد ذلك .

سألها بوارو :

- من الذى أعطاك اياها ؟

اتسعت عيناها ، وتقلصت شفتها العليا بعض الشئ وقالت :

- كنا هنا جميعا .. وقد جربناه كلنا .. وكان رائعا فى البداية .

قال بوارو فى اصرار :

- ولكن من الذى أحضره ؟

هزت رأسها وأجابت :

- لا أدرى .. لعله تونى .. تونى هوكر . ولكننى لا أعرف شيئا آخر .

سألها بوارو فى هدوء :

- أهذه أول مرة تتعاطين فيها الكوكايين يا آنسة ؟

أومأت بالايجاب فقال ستودارت فى حدة :

- حسنا . فلتكن الأخيرة .

- نعم .. طبعا . ولكن كان ذلك جميلا .

قال الشاب فى حزم :

- اسمعى يا شيلا . أنا طبيب وأعرف ما أقول .. أننى أعرف أناسا أدمنوا تعاطى

الكاكايين ، وأقسم لك أن منظرهم غير جميل . ان المخدر يهدم كل من يتناوله ، والخمر بالنسبة الى الكاوكايين لا يعد شيئا اطلاقا ، فلا تقريبه بعد ذلك أبدا . صدقيني ، ليس فيه أي جمال ، وماذا يقول أبوك لو عرف بالأمر .

صاحت شيلا في صوت حاد :

- أبي .. أبي ..

ثم راحت تضحك وتقول :

- انني أتصور منظره . من الأوفق أن لا يعرف شيئا والا أصابته نوبة .

- وله الحق .

تأوهت مسز جريس من الغرفة المجاورة في هذه اللحظة وقالت :

- دكتور .. دكتور ..

خرج ستودارت وهو يزمجر ، وقالت شيلا تسأل بوارو :

- من أنت .. ؟ أنك لم تكن بين الحاضرين .

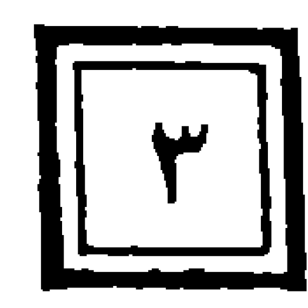
- هو ذلك .. أنني صديق للدكتور ستودارت .

- هل أنت طبيبا أيضا .. ؟ ولكن لا يبدو عليك ذلك ..

أجاب المخبر كما لو كان يعلن عن الفصل الأول من مسرحية .

- اسمي هركيول بوارو .

وكانت لكلماته هذه التأثير المطلوب . وكان بوارو يشعر في العاده بشئ من الحزن حين يرى أنه غير معروف من الجيل الجديد المجردمن الذكاء ولكن كان يبدو أن شيلا قد سمعت عنه ، فقد صعقت وراحت تنظر اليه في ذهول ..



تعد ضاحية مرتونشاير من أنخم ضواحي لندن ، لا يؤمها الا القوم الأثرياء ومن هم

في بحبوحة من العيش . ولم يجد هركيول بوارو ، عناء كبيرا فى أن ينزل ضيفا عند احدى صديقاته ، وهى سيدة مسنة دمثة الأخلاق كان همها الأكبر التحدث عن جيرانها ، وقد اضطر بوارو أن يستمع الى قصة طويلة مسهبة عن حركات وسكنات أناس كثيرين لا تهم فى قليل أو كثير قبل أن يستطيع أن يسأل عن الذين يهتم بهم بالذات .

– آل جرانت .. ؟ أوه .. نعم ، هناك أربع فتيات ، ولا يدهشنى أن الجنرال المسكين لا يمكنه أن يتحكم فيهن .. ماذا يمكن لرجل أن يفعل مع أربع فتيات ؟

ورفعت الليدى كار ميكايل يدها كأنها تستشهد بالسماء وقال بوارو موافقا :

– هذا صحيح .

– ومع ذلك فقد قال لى أنه كان يفرض على فرقته نظاما من جديد .

ولكن هؤلاء البنات أقوى منه .. آه .. لم يكن الأمر هكذا فى شبابى .

كان الكولونل سانديس العجوز قاسيا جدا مع بناته المسكينات .

ورحلة طويلة فى أغوار الماضى ثم :

– ومهما يكن فان بنات جرانت ليس فيهن شئ غريب كل ما فى الأمر أنهن لا يكترثن بشئ ، والحق أنهم فى عالم بغيض .. آه ، ان المنطقة تغيرت ، وهناك أناس من كل نوع يأتون للاقامة هنا الآن ، فما من شئ يهم الآن الا المال .. وتلك القصص التى يروونها .. ؟ من تقول . أنتونى هوكر .. ؟ نعم .. أننى أعرفه . شاب غير جذاب ، ولكن يبدو أنه ثرى جدا . أنه يأتى هنا للصيد ويقيم حفلات .. من نوع خاص اذا صدقنا ما يقال . ولكن الناس خبثاء جدا .. يزعمون أن المرء لابد أن يتناول الشراب أو أن يتعاطى المخدرات ، لكى يكون على علم بكل شئ . وقد قالوا ذلك عن مسز لاركن ، وعلى الرغم من أن هذه السيدة لا تهمنى فأننى واثقة أن الأمر معها ليس أكثر من موجة سببها الغباء. انها صديقة حميمة لصاحبك أنتونى هوكر ، ولا ريب أنها تحقد على بنات جرانت لهذا السبب ، وتقول عنهن انهن عاهرات .

قد يكون فيهن فجر قليل ولكن هذا شئ طبيعي ،خاصة وأنهن على جانب كبير من الجمال..

وردت تقول على سؤال القاه بوارو :

– مسز لاركن .. ؟ من يستطيع اليوم أن يعرف الناس على حقيقتها يا صديقي العزيز .. يبدو أنها تجيد ركوب الخيل وأنها على سعة من العيش . كان زوجها شخصا ذا أهمية في المدينة . انه مات ولم يطلقها . وهي هنا منذ قليل . جاءت بعد آل جرانت بشهور . وقد ظننت دائما أنها ..

وأمسكت المرأة العجوز عن الحديث فجأة وبقيت فاغرة الفم جاحظة العينين ثم انحنت الى الأمام بغتة ، وهوت على أصابع بوارو بقاطعة ورق كانت تمسكها في يدها . ولم تعبء بأنة الألم التي أفلتت من شفتيه وصاحت :

– لقد فهمت .. فهمت لماذا أنت هنا .. ؟ أيها الرجل القصير المكير .. حدثني بكل شئ .

– ولكن بم أحدثك .

شهرت الليدي كارميكايل القاطعة في وجهه ولكن بوارو تجنب الضربة في مهارة في حين راحت هي تقول :

– هركيول بوارو ... أنني أرى شاربك يهتز . لا تطبق فمك كالمحارة .

هي جريمة قتل التي جاءت بك هنا طبعا .. وأنت تحاول أن تستخلص مني المعلومات دون أي خجل . هل هي جريمة قتل .. ؟ من الذي مات هذه الأيام الأخيرة ؟ لم يمت أحد غير لويزا جيلمور ولكنها ماتت وهي في الخامسة والثمانين ، وكانت تشكو من داء الاستسقاء . وهناك ذلك المسكين ليو ستافرتون ، فقد وقع من فوق جواده وهو في الجبس الآن .. كلا .. ولكن لعل الذي جاء بك ليس جريمة قتل .. ولكنني للاسف لا أتذكر أي حادث سطو قريب .. بيريل لاركن .. ؟ هل دست السم لزوجها .. ؟ لعل شرورها راجع

إلى وخز الضمير

صاح هركيول بوارو :

- سيدتى .. سيدتى .. أن الخيال يشطح بك بعيدا .

- لا تكن أحمق . انك تقتفى أثرا يا هركيول بوارو . الا تريد أن تقول أيها الخبيث اذا كانت مسز لاركن قتلت زوجها .. ؟ أو لعل أنتونى هو القاتل صاحب حقيبة برايتون الذى يبحثون عنه ؟

ورمته بنظرة تفيض بالأمل . ولكن بوارو بقى جامد الأسارير ، فعادت تقول :

- هركيول بوارو .. اذا بقيت هكذا تنظر الى دون أن تنطق فسوف أرميك بشئ .

قال المخبر السرى :

- تذرعى بالصبر قليلا .

٤

لم يكن آشلى لورج ، بيت الجنرال جرانت بيتا كبيرا . كان يقع فى منحدر تل ، وكان يحتوى على اصطبلات جميلة ، وعلى حديقة امتدت اليها يد الاهمال .

وكانت الغرفة التى دخل اليها هركيول بوارو مزدحمة بتماثيل مختلفة الاحجام تمثل بوذا جالسا على قاعدة من الخشب ، وبمناضد منخفضة فوقها نحاس مضغوط ، وبعدد من الأفيال . وكانت الجدران مغطاة بمفارش جاءت كلها من الهند .

وكان الجنرال جرانت يجلس فى مقعد منخفض فى وسط الغرفة ، وساقه مربوطة بضمادات ، وممدودة فوق طاولة أمامه .

قال :

- النقرس . ألم تصب بالنقرس أبدا يا مستر .. بوارو .. ؟ أنه يؤلمنى جدا ، ويجعلنى لا أطيق أحدا فى أكثر الأحيان . وكل هذا جناه على أبى . فقد شرب البورتو

طوال حياته .. وأبوه كذلك من قبله ، وأنا الذى أدفع الثمن الآن .. هل تريد أن تتناول شيئا .. ؟ أرجو أن تدق الجرس .

وأقبل خادم هندى يغطى رأسه بعمامة كبيرة أمره الجنرال أن يأتى بويسكى وصودا . وعندما جاءه بما طلب صب منه قدرا كبيرا فى كأس وقال يحدث بوارو :

- يؤسفنى أننى لا أستطيع مشاركتك الشراب ، فقد نهانى الطبيب عنه ، زاعما أنه بمثابة سم لى . وأننى أتساءل ماذا يعرف هؤلاء الأطباء . أنهم قوم خبيثون ، يحلو لهم أن يجبروا رجلا مثلى على أكل السمك المسلوق .. آه ..

وفى سورة اسخطه أتى الجنرال بحركة طائشة من ساقه ، جعلته يسب ويطلق صرخة ، تنم عن الألم الشديد . وطلب من بوارو أن يلتمس له عذرا قائلا :

- عندما تأتينى النوبة ، تتملكنى العصبية ، ولا يستطيع أحد احتمالى ، وتسرع بناتى بالابتعاد عنى عندئذ ، والحق أننى لا أستطيع أن أحقد عليهن .. سمعت أنك تعرفت بواحدة منهن ؟

- هذا صحيح . كان لى هذا الشرف . قيل لى أن لديك بناتا كثيرات .

أجاب الجنرال بدون حماس :

- أربع بنات .. ولا ولد واحد .. أربع بنات .. !

- قيل لى أنهن كلهن جميلات .

- لا بأس بهن .. لا بأس بهن .. ولكننى لا أعرف مكانهن أبدا .. لا يمكن لاحد أن يحرس بناته اليوم ، فقد أتيحت لهن حرية أكثر من اللازم . وماذا يستطيع أن يفعل رجل وحيد . لا أستطيع أن أحبسهن على كل حال .

- سمعت أنهن اكتسبن شهرة كبيرة فى المنطقة .

- أوه .. هناك بعض العجائز لا يحبونهن .. لا يجب أن ينخدع المرء بالظواهر .. وقد كادت واحدة منهن أن تخدعنى بمظهرها .. أرملة ظريفة .. اعتادت أن تأتينى وهى تهرهر

كالقطة .. أوه .. يا جنرال .. لاريب أن حياتك كانت هامة جداً..

وغمز الجنرال بعينه ووضع أصبعا على طرف أنفه واستطرد :

- وكان الأمر واضحا جدا ، ولا أظن أن هذه المنطقة بأسوأ من غيرها ، ولكنها صاخبة أكثر من اللازم بالنسبة لى . كنت أحب الريف عندما كان لا يزال ريفا .. بدون هذه الموتورات وذلك الراديو اللعين .

أعاد بوارو دفة الحديث الى أنتونى هوكر بهدوء :

- هوكر .. هوكر .. لا أعرفه .. آه .. نعم .. انه ذلك الشاب ذو العينين المتقاربتين.. لا تولى ثقتك أبدا بالشاب الذى لا يواجهك وجها لوجه .

- هو صديق لابنتك شيلا ، أليس كذلك ؟

- صديق شيلا ،، ؟ لا أدرى .. ان بناتى لا يصارحننى بشئ أبدا .

وقطب الجنرال جبينه وحدق فى عينى المخبر وقال :

- قل لى يا مستر بوارو .. ما الخبر بالضبط ؟ لماذا أتيت لزيارتى ؟

أجاب بوارو :

- أنا نفسى لا أدرى . ولكن دعنى أقل لك ان ابنتك شيلا ، بل لعل بناتك كلهن يعاشرن رفقاء السوء .

- يعاشرن رفقاء السوء .. ؟ كنت أخشى ذلك الى حد ما ، فقد سمعت كلمة هنا وكلمة هناك ..

ونظر الى بوارو فى استجداء قائلا :

- ولكن ماذا أستطيع أن أفعل .. ؟ قل لى ما الذى أستطيع أن أفعله . ؟

هز بوارو رأسه فى حيرة فى حين عاد الرجل يقول :

- ماذا بشين الشبان الذين يصاحبونهن ؟

أجاب بوارو بسؤال آخر :

- الم تلاحظ أن بعض بناتك فى الآونة الأخيرة يتملكهن الاضطراب والاعياء والانفعال والاكتئاب وعدم الاستقرار ؟

- ما هذا يا صديقى . انك تتكلم كما لو كنت طبيبا . كلا ، لم الحظ شيئا من هذا .

قال بوارو فى وقار :

- هذا جميل .

- ولكن أين يؤدى بنا كل هذا ؟

- الى المخدرات .

- ماذا ؟ .

كانت صرخة أكثر منها صيحة تعجب .

- حاول بعضهم أن يرغم ابنتك على ادمان المخدرات والمرء يدمن الكوكايين بأسرع ما يمكن ، ويكفى لذلك أسبوع أو أسبوعان . وما أن يصبح مدمنا حتى يفعل أى شئ لكى يحصل عليه . ولعلك تفهم من ذلك مدى الأرباح التى يجنيها من بيعه .

أنصت المخبر لموجة السباب التى اندفعت من بين شفتى الجنرال ، وعندما خبت تلك الموجة على وصف ما ينوى الجنرال أن يفعل بذلك الوغد اذا وقع بين يديه قال بوارو :

- عندما نلقى عليه القبض سيسرنى أن أسلمه لك أيها الجنرال .

ونهض وتعثرت قدمه فى رجل المنضدة المنحوتة ، ولم يتجنب الوقوع الا بتشبثه بساق الجنرال . وقال فى ارتباك :

- أوه ، أرجو معذرتك . ولكن هل أستطيع أن أطلب منك أن لا تقول شيئا عن هذا لبناتك ؟

- ماذا . ؟ أننى سأنتزع الحقيقة منهن .. نعم .

- ولن تجنى شيئا ، فانهن سيكذبن عليك .

- ولكن يا سيدى ..

- أؤكد لك أنه يجب أن تسكت . هذا أمر حيوى .. حيوى . هل تفهم ؟
- آه . حسنا .. كما تشاء .
كان مغلوبا على أمره ، ولكنه لم يكن مقتنعا .

٥

كانت غرفة الصالون ببيت مسز لاركن تغص بالضيوف وكانت المضيفة تضع كؤوس الكوكتيل على منضدة بجوار الحاجز ، وهى امرأة طويلة ذات شعر أحمر ، وكانت حدقتا عينيها الرماديتين سوداوين ومتسعتين . وكانت تتنقل برشاقة ولكن فى قلق باد . وعلى الرغم من أنها كانت فى الثلاثين من عمرها الا أنه كان يبدو عليها أنها فى الأربعين .

كان بوارو من ضمن المدعوين قدمته الى المضيفة صديقة الليدى كارميكايل . وقد وجد نفسه فجأة وفى يمناه كأس من الكوكتيل لاستعماله الخاص ، وفى يسراه كأس أخرى قدمها لفتاة تجلس بجوار النافذة .

كانت الفتاة شقراء فى مقتبل العمر . وكانت بشرتها بيضاء ووردية تدل ملامحها على البراءة . ولحظ بوارو على الفور حدة نظرتها ، وقال :

- نخب صحتك يا آنسة .

أومأت اليه برأسها ثم سألته فجأة :

- انك تعرف أختى ؟
- اختك .. ؟ آه اذن فأنت احدى بنات جرانت .
- أنا باميلا جرانت .
- وأين أختك اليوم ؟
- فى الصيد . ولن تتأخر عن المجئ .
- اننى التقيت بها فى لندن .

- أعرف ذلك .

- هل روت لك ما حدث ؟

أومأت باميلا جرانت بالايجاب وقالت :

- هل كانت في ورطة ؟

- ألم تقل لك كل شئ اذن ؟

هزت رأسها وسألت :

- هل كان تونى هوكر هناك ؟

وقبل أن يتمكن بوارو من الرد فتح الباب ، ودخل هوكر وشيلا جرانت ، وكانا يرتديان ملابس الصيد وكان على وجنة شيلا أثر طين .

- صباح الخير جميعا . جئنا نتناول كأسا ، فان زمزمية تونى قد فرغت .

وكانت بيريل لاركن قد تقدمت منهما فقالت :

- آه .. أهذا أنت يا تونى .. ؟ كيف حال الصيد ؟ .

وجذبته نحو أريكة بجوار المدفأة . ورأى بوارو الشاب يلتفت ويلقى نظرة الى شيلا قبل أن يتبع مضيفته .

وكانت شيلا قد رأت بوارو . وترددت لحظة ، ثم اقتربت من النافذة وقالت فجأة :

- اذن فأنت الذى أتيت الى البيت أمس ؟

- هل أخبرك أبوك ؟

هزت رأسها وقالت :

- كلا ، ولكن الخادم الهندى وصفك .. وقد .. أنني تساءلت ..

صاحت باميلا :

- هل ذهبت لزيارة أبينا ؟

- نعم .. فان لنا أصدقاء مشتركين .

قالت باميلا :

- لا أصدق شيئا من ذلك .

- لا تصدقين ماذا . ؟ الا تصدقين أن لنا ، أنا وأبوك ، أصدقاء مشتركين ؟

اصطبغ وجه الفتاة وقالت :

- لا تكن سخيفا .. انما كنت أعنى انك لم تذهب لزيارة أبى لهذا السبب .

وتحولت الى شيلا وقالت لها :

- لماذا لا تقولين شيئا يا شيلا ؟

أجفلت الفتاة وقالت :

- ألم .. ألم يكن لذلك علاقة بتونى هوكر ؟

- ولأى سبب ؟

احمر وجه شيلا وأسرعت تنضم الى المدعوين الآخرين وقالت باميلا فجأة فى حدة :

- اننى لا أحب تونى هوكر .. ان .. هناك شئ كئيب فيه وفى مسز لاركن كذلك ، انظر اليهما معا .

نظر بوارو الى حيث تشير ، فرأى رأس هوكر ملاصقا لرأس مضيفته ، وكان يبدو كما لو كان يحاول أن يتملقها ، ولكنها لم تلبث أن رفعت صوتها قائلة :

- ولكننى لا أستطيع الانتظار .. أننى أريده الآن حالا .

قال بوارو وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :

- ان النساء لا يمكن أن ينتظرن أبدا .

ولكن بام جرانت لم تنطق . كانت قد خفضت رأسها وراحت تطبق أصابعها وتبسطها من جديد فى حركات عصبية .

- انك تختلفين كثيرا عن أختك يا آنسة .

رفعت رأسها فى حدة غير مبالية بما فى ذلك من ابتذال وقالت :

– مستر بوارو .. ما هذا الشئ الذى أعطاه تونى لشيلا .. وغيرها كل هذا التغيير .

حدق فى عينيها وقال :

– هل حدث أن تعاطيت الكوكايين يا آنسة ؟

– أوه ، كلا . هذا هو الأمر اذن ؟ .. كوكايين ؟ .. ولكن أليس من الخطر تعاطيه ؟

لحقت شيلا جرانت بهما عندئذ وفى يدها كأس وقالت :

– عن أى شئ تتكلمين أنه خطر ؟

أجاب بوارو :

– اننا نتحدث عن تأثير المخدرات ذلك الموت البطئ للجسم والذهن معا أنها تدمر ما هو صحيح وطيب فى الانسان .

صاحت شيلا جرانت صيحة مكتومة ، وانسكب جزء مما فى كأسها على الأرض .

– وأظن أن الدكتور ستودارت ذكر لك كل ما يتسبب فيه هذا الموت .. فى الانسان الحى .. انه سريع التأثير ، ويتعذر التخلص منه .. والشخص الذى يستفيد من هذا التدمير ومن آلام الغير هو وحش يتغذى بالدم

وانصرف المخبر السرى تاركا الفتاتين مصعوقتين .

وفيما هو يبتعد سمع باميلا تصيح بأختها : شيلا .. ثم سمع هذه الأخيرة تهمس فى صوت يكاد لا يسمع .. الزمزمية ..

وحيا هركيول بوارو مسز لاركين ، واستأذن فى الانصراف .

وفى البهو ، فوق المائدة رأى بندقية صيد وسوطا وزمزمية عليها هذان الحرفان ا . هـ .

وأمسك بوارو الزمزمية وهزها فى رفق فلم يسمع صوت السائل فرفع غطاءها .

كانت مملوءة بمسحوق أبيض .

***

٦

وقف هركيول بوارو فى شرفة بيت الليدى كارميكايل يتحدث مع فتاة ، وكان يقول فى حماس :

– أنت فى مقتبل العمر يا آنسة ، وأنا واثق أنك كنت لا تعرفين خطورة ما تفعلين ، لا أنت ولا أخوتك . انكن انما تتغذين بدم أخوانكم من البشر .

سرت الرعشة فى بدن شيلا وقالت وهى تبكى :

– انه حقا عمل بالصورة التى تصورها ، ولم أفهم بشاعته قبل تلك الليلة التى تحدث الى فيها الدكتور ستودارت فى لندن .. كان يتكلم بتأثر .. واخلاص .. ورأيت بشاعة ما أفعله عندئذ .. ولكنه كان قبل ذلك مجرد لهو .

سألها بوراو :

– والآن ؟

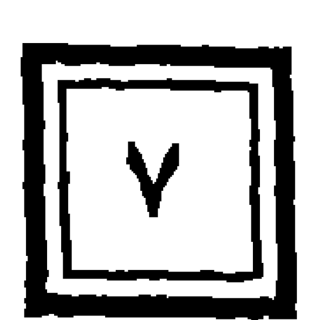
– سأفعل ما تريد .. سأ ... سأتكلم مع الأخريات ولا أظن ان الدكتور ستودارت يرضى أن يخاطبنى بعد ذلك .

– بالعكس يا آنسة .. أننا لا نتوانى عن مساعدتك بقدر ما نستطيع لكى تبدئى الحياة من جديد . ولكن هناك شيئا حتمياً .. هناك شخص يجب تدميره بدون تأخير .. أنت وأخواتك فقط تستطعن ذلك .. شهادتكن أنتن يمكن أن تثبت جرمه وتدينه .

– هل .. هل تعنى أبى ؟

– انه ليس أبوك يا آنسة ، ألم أقل لك أن هركيول بوارو يعرف كل شئ . أننى تعرفت على صورتك بكل سهولة ، فأنت شيلا كيلى التى أرسلت الى اصلاحية الأحداث بتهمة السرقة من المحلات التجارية منذ بضع سنوات . وعندما أطلق سراحك كان هناك رجل يدعو نفسه الكابتن جرانت فى انتظارك ، وقد عرض عليك أن تتظاهرى بأنك ابنته نظير مبلغ كبير ومتعة أكبر .. وكل ما كان يتعين عليك هو ادخال الثلج أى المسحوق الأبيض

عند أصدقائك ، زاعمة أن شخصا آخر أعطاك اياه .. وهذا هو نفس الحال مع أخوتك ..
هيا يا آنسة يجب أن يحاكم هذا الرجل وأن يدان .



نظر مايكل ستودارت الى بوارو مشدوها وقال :

- الجنرال جرانت ؟

- هو ذلك . كل هذا العرض لم يكن الا خدعة تماثيل بوذا ، والمناضد ذات النحاس المضغوط ، والخادم الهندى ، وداء النقرس . كل هذا اخراج رائع . ان المسنين الذين بلغوا من السن أرذله هم فقط الذين يتألمون من داء النقرس فهو داء لا يصيب الآباء الذين لا تتجاوز أعمار بناتهن العشرين ربيعا .

ولكننى أردت أن أتأكد على الرغم من ذلك ، فعندما هممت بالخروج تعثرت واصطدمت بقدم المريض . وكان هذا الأخير مضطربا بسبب ما أحدثته به فلم يلحظ ذلك ، وكان يجب أن يتألم ألما شديدا بسبب النقرس ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

على أن الفكرة فى حد ذاتها لم تكن سيئة .. جنرال متقاعد قادم من الهند .. مريض وعصبى المزاج الى حد بعيد .. ولكنه أقام فى وسط مستواه المعيشى أعلى من مستوى ضابط متقاعد .. فكل من فيه موسرون ، ثم من يشتبه فى أربع فتيات ظريفات يتدفقن مرحا وحياة .. وحتى اذا ساءت الظروف ووقع أى شئ ، فسوف يعتبرهن الجميع ضحايا .

- ولكن ماذا كان يدور فى رأسك عندما ذهبت لزيارة ذلك المجرم ؟ .
هل كنت تريد تحذيره ؟

- نعم . أردت أن أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك ، ولم أنتظر طويلا ، فقد صدرت الأوامر للفتيات . كان يجب أن يكون انتونى هوكر ، أحد ضحاياهم كبش الفداء . وكان على شيلا أن تحدثنى عن الزمزمية التى تركتها فى البهو . ولكنها لم تجد الجرأة على ذلك

. ولفتت باميلا نظرها بأن أهابت بها تقول فى لهجة آمرة " شيلا " .

نهض مايكل ستودارت وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وقال :

- سأولى هذه الفتاة عنايتى الخاصة . طالما اهتممت بالمراهقين الذين يتعاطون المخدرات ، واذا نحن درسنا حالة كل من هذه الفتيات فسوف نجد بلا شك .

قاطعه بوارو قائلا :

- أى صديقى العزيز . ان احترامى كبير لمعرفتك ، ولا شك لحظة واحدة أنك ستجد الدليل على نظريتك فيما يتعلق بشيلا كيلى .

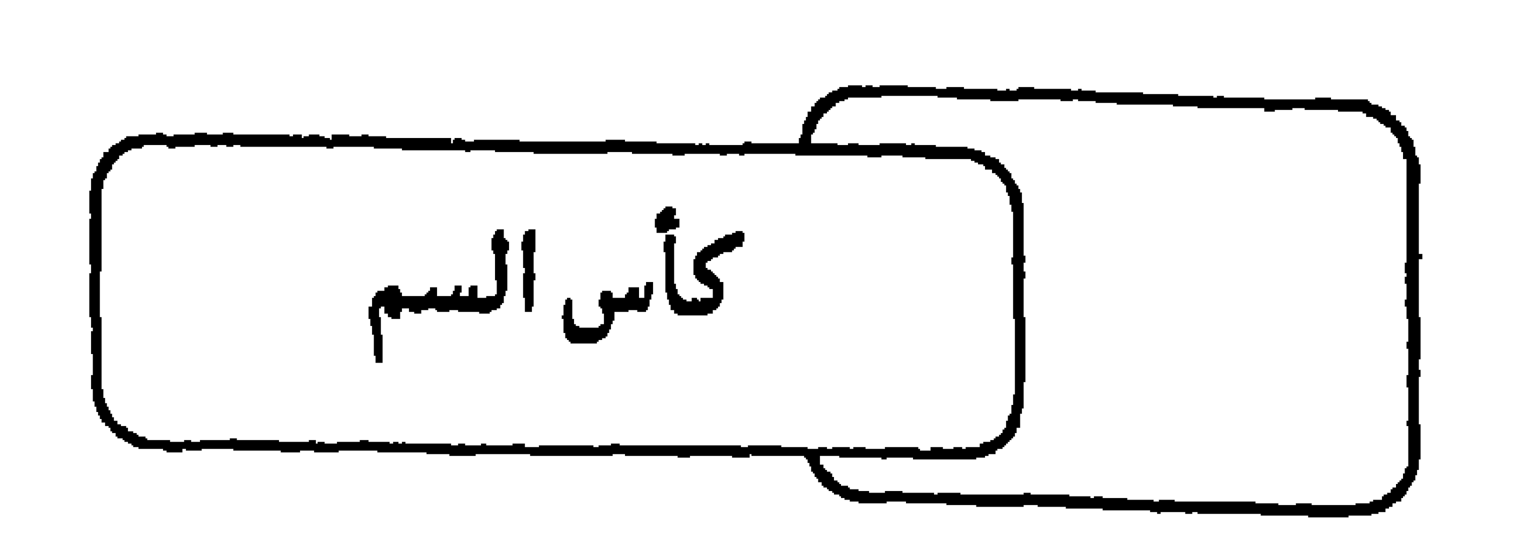
- وكذلك الفتيات الأخريات .

- ربما . هذا جائز . ولكن الفتاة الوحيدة التى أنا متأكد منها هى شيلا . انك ستروضها بدون أي شك ، ثم انها تكاد تلتهمك .

احمر مايكل ستودارت بشدة وقال :

- لا تكن أحمق يا بوارو .

***



كأس السم

ما أن ألقى هركيول بوارو نظرة الي جبين محدثه العريض ، والى فكيه القويين ، وعينيه الحادتين – حتى أدرك كيف استطاع أيمرى بوير أن يصبح من كبار الماليين المشهورين .

وكذلك حدثته أصابعه الطويلة ويداه المتنافستان لماذا اكتسب صاحبهما شهرته فى العالم أجمع كواحد من أكبر هواة التحف الثمينة ، وأدرك أن الرجل لا يحب الفن لكونه فنا فحسب ، ولكنه يحب أن يكون مقترنا بالشهرة . لم يكن يكفيه أن تكون التحفة جميلة وثمينة فحسب ولكن كان يجب أن يكون لها تاريخ يشهد بعظمتها وقيمتها .

وكان صوت الرجل هادئا رزينا يشوبه الاهتمام .

وقال :

– انى أعرف انك لا تقبل قضايا كثيرة فى هذه الأيام ، ولكننى أظن أنك ستقبل هذه المهمة بالذات .

– أهى على جانب من الأهمية ؟

– بالنسبة لى .. نعم .

أحنى بوارو رأسه ونظر الى ايمرى بوير مستفهما فى صمت فقال الرجل :

– انها تدور حول العثور على قطعة فنية ، وبالتحديد على كأس مصنوع من الذهب يرجع عهده الى عصر النهضة ، ويقال أنه كان ملكا للبابا اسكندر السادس المعروف باسم رودريك بورجيا . وكان يقدم النبيذ فيه أحيانا لأحد مدعويه المحظوظين ،

فلا يلبث هذا الدعو أن يموت .

- يا لها من عادة جميلة ! .

- كان لهذا الكأس تاريخ صاخب ، فقد سرق أكثر من مرة ، واقتتل الناس فى سبيله وترك خلفه طريقا مفروشا بالدم .

- هل يرجع هذا لقيمته المادية أو لسبب آخر ؟

- ان له قيمة كبيرة طبعا ، فهو منقوش بطريقة رائعة ، ويقال ان بنفنيتو تشلليني هو الذى نقشه بنفسه والنقش يمثل شجرة يلتف بها ثعبان مرصع بالأحجار الكريمة ، ويتدلى من الشجرة نفسها ثمر التفاح ، وهو عبارة عن زمردات حقيقية .

بدأ الاهتمام يظهر على وجه بوارو وقال :

- تفاح !

- والأحجار جميلة جدا ، ولكن القيمة الحقيقية للكأس ترجع الى تاريخها بالذات، وقد عرضه المركيز دى سان فيراترينو للبيع فى مزاد سنة ١٩٢٩ ، وتزاحم هواة التحف على الفور لشرائه ، ولكننى أفلحت فى الحصول عليه بمبلغ ثلاثين ألف جنيه .

- انه مبلغ جسيم .

- عندما أريد شيئا فأننى أدفع الثمن على الفور يا مستر بوارو .

- لعلك تعمل بالمثل الاسبانى الذى يقول : " يقول الرب خذ ما تريد وادفع "

عبس ايمرى بوير ، وومض بريق من القسوة فى عينيه لحظة خاطفة ، ولكنه قال فى صوت جاف :

- هل تدرس الفلسفة ؟

- أننى بلغت سن التروى والتفكير .

- لست أشك فى ذلك . ولكن الفلسفة لن ترد الى الكأس ، وأظن أن العمل أفضل واجدى .

- هذا خطأ يقدم عليه الكثير من الناس . ولكننا نبتعد عن الموضوع . كنت تقول أنك اشتريت الكأس من المركيز دى سان فيراترينو .

- نعم . ولكننى لم أقل لك أنه سرق قبل أن ينتقل الى حوزتى .

- كيف ذلك ؟

- سطا اللصوص على قصر المركيز فى الليلة التى تلت المزاد ، وأخذوا عشر قطع من التحف النادرة من بينها الكأس .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

هز بوير كتفيه وقال :

- اهتم البوليس بالأمر بالطبع ، وألقوا القبض على اثنين من اللصوص الذين سطوا على القصر ، وهما الفرنسى دوباى والايطالى ريكوفيتى . وأصدر القضاء حكمه عليهما ، لأنه وجدت معهما بعض المسروقات .

- ولكنهم لم يجدوا الكأس طبعا .

- كلا . وظهر من التحقيق الذى قام به البوليس ، أنه كان لهما شريك ثالث ، وهو رجل ايرلندى يدعى باتريك كازى ، وكان مشهورا ببراعته فى تسلق المواسير وهو الذى قام بالسرقة . وكان دوباى هو العقل المفكر الذى يعد الخطط ، أما ريكوفيتى فكان يقود السيارة ، وينتظر قدومهما بالمسروقات .

- وهل اقتسمها الشركاء الثلاثة .

- هذا جائز . انهم لم يعثروا على كل حال الا على المسروقات العادية التى لا قيمة لها تقريبا . أما التحف المعروفة فلا ريب أنها هربت الى الخارج .

- وماذا حدث لكازى .. ؟ ألم يقدم لمحاكمة ؟

- ليس بمعنى هذه الكلمة . كانت السن قد تقدمت به وفقدت عضلاته رشاقتها وسقط بعد خمسة عشر يوما من الطابق الخامس ومات على الفور .

- وأين كان هذا ؟

- فى باريس .. فى محاولة للسطو على قصر المالى الكبير دينوجلييه .

- ألم يعثروا على الكأس ؟

- أبدا .

- ألم يعرض للبيع فى أى مكان ؟

- كلا . وأكاد أكون واثقا من ذلك .. ليس البوليس فقط وانما ثلاثة من المخبرين السريين الذين كلفتهم بالبحث عنه .

- والمبلغ الذى دفعته ثمنا له .

- عرض على المركيز أن يرده لى نظرا الى أن السرقة وقعت فى بيته .

- ولكنك لم تقبل ذلك .

- كلا .

- لماذا ؟

- لأننى آثرت ذلك .

- هل تعنى أنك رفضت استرداد المبلغ حتى اذا عثروا على الكأس بعد ذلك يعود اليك قانونا ؟

- تماما .

- ولكن ماذا كنت تخفى وراء هذا الموقف ؟

ابتسم بوير وقال :

- أرى أنك تفهمنى . حسنا . ان الأمر بسيط . كنت أعرف مع من كانت الكأس .

- انك تثير اهتمامى .. من تعنى ؟

- سير روبن روزنتال . فهو ليس مثلى ، من هواة التحف فحسب . ولكنه كان عدوا لدودا لى فى ذلك الوقت . كنا غريمين نتنافس فى كثير من الأعمال . وكنت أنا

الرابح دائما . وبلغت عدواتنا منتهاها بقصة الكأس ، فقد كان كل منا مصمما على الفوز بها وعلقنا أهمية كبيرة على ذلك . وكان وكيل كل منا يزايد ، الواحد بعد الآخر أثناء البيع .

– ورسا المزاد على وكيلك أنت بالذات ؟

– كلا ، فقد احتطت للأمر وكلفت رجلا آخر كان رسميا وكيل رجل أعمال فى باريس ، فما كان أى منا ليرضى أن يتنازل للآخر كما تعرف ، ولكن كان من المحتمل أن نترك رجلا ثالثا يفوز بالكأس على أمل احتمال الاتصال به فيما بعد .. كان هذا أمرا مختلفا .

– خيبة أمل صغيرة .

– تماما .

– ولكن سير روبين اكتشف أنك خدعته .. ؟ كيف تم له ذلك ؟

ابستم بوير بطريقة غنية عن الايضاح فاستطرد بوارو :

– اذن فأنت تعتقد أن سير روبين لم يقر بالهزيمة ولجأ الى بعض اللصوص .

رفع ايمرى بوير يده فى احتجاج مهذب وقال :

– أوه ، كلا .. ولم هذا التحديد .. ؟ لقد حصل سير روبين بعد قليل من ذلك على كأس يرجع عهدها الى عصر النهضة ، ولكن من مصدر غير معروف ..

– فى حين أن البوليس نشر أوصاف الكأس الأولى فى كل مكان .

– لم تكن هناك حاجة الى عرض الكأس للبيع جهارا .

– هل تعتقد أن سير روبين كان يكفيه أن يعلم أنه يمتلك الكأس ؟

– نعم ، ومن ناحية أخرى ، فلو أننى قبلت عرض المركيز فقد كان فى مقدور سير روبين أن يعقد معه اتفاقا سريا فيما بعد ، وبهذه الطريقة يمتلك الكأس قانونا . ولكن ببقائى أنا صاحب الكأس الرسمى فأننى كنت احتفظ بامكانية استرداد شئ أمتلكه .

- أى انك كنت تستطيع أن تدبر الأمر بحيث تسرقها من سير روبين .

- ولكنها ما كانت لتكون سرقة يا مستر بوارو ، وانما كنت أسترد شيئا ملكا لى

- ولكنك لم توفق فى ذلك ؟

- لسبب وجيه ، وهو أن روزنتال لم يمتلك الكأس أبدا .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- عرفت أخيرا ، فقد أدمجت بعض شركات البترول وأصبحت مصالح سير روبين ومصالحى واحدة ، ولم نعد أعداء ، وانما تصالحنا ، وقد تحدثت معه فى الموضوع بصراحة وأكد لى على الفور أن الكأس لم تكن بين يديه فى أى وقت من الأوقات .

- وهل تصدقه ؟

- نعم .

- تتبعت اذن طوال عشر سنوات أثرا خاطئا .

قال ايمرى بوير فى مرارة :

- هو ذلك .

- والآن يجب أن تبدأ من جديد . وأنا المخبر الذى يجب أن يرشدك الى الأثر الصحيح .. ؟ لقد وطأوه كثيرا منذ ذلك اليوم .

قال بوير فى غير رقة :

- لو أن القضية كانت بسيطة لما لجأت اليك ولكن اذا كنت ترى أن الأمر مستحيل طبعا

وهكذا عرف ايمرى كيف ضرب على الوتر الحساس . فقد كان لهذا القول رد فعله، واعتدل بوارو وقال فى حدة :

- ان كلمة مستحيل ليس لها وجود بالنسبة لى يا سيدى وانما أتساءل فقط اذا

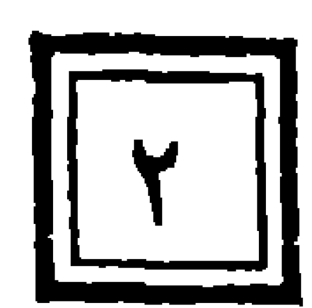
كانت القضية تهمنى الى الدرجة التى تدفعنى الى الاضطلاع بها .

- ان لها فائدتها على كل حال ، فستحدد أنت بنفسك قيمة أتعابك .

- أالى هذا الحد تريد الحصول على الكأس .. ؟ هذا عجيب .. !

- أننى مثلك لاأقر بالهزيمة .

- آه .. فى هذه الحالة .. أننى أفهم .



أبدى المفتش واجستاف دهشة وقال :

- كأس فيرارتينو ؟ .. نعم .. اننى أتذكر جيدا . أننى أتحدث الايطالية قليلا ، وقد عقدت اجتماعا مع البوليس الايطالى ، وتشاورنا فى الأمر ، ولكننا لم نجد الكأس أبدا .

- وما هو السبب فى رأيك .. ؟ هل بيعت سرا ؟

- لا أظن ذلك . هذا يدخل فى نطاق الاحتمالات طبعا ، ولكن من رأيى أن الأمر أبسط من ذلك بكثير .. انهم أخفوها .والرجل الوحيد الذى كان يعرف مكانها مات .

- هل تعنى كازى ؟

- نعم .. ربما أخفاها فى مكان ما بايطاليا ، الا اذا كان قد أفلح فى اخراجها من البلد ، ولكنه أخفاها ولم يلمسها أحد بعد ذلك .

- هل نسيت قصة الأحجار الكريمة التى أخفوها فى قالب من الأسمنت على هيئة النصف العلوى من نابليون ؟ ولكن هذه الكأس بالذات كبيرة الحجم ، ومن الصعب اخفاؤها بطريقة ما .

- أوه .. ليس هذا أمرا مستحيلا ربما أمكن اخفاؤها تحت أرضية من الخشب

- هل كان كازى يمتلك بيتا ؟

– نعم ، فى ليفربول (وابتسم المفتش) . ولكننا لم نجد الكأس تحت الأرضية ، وقد تأكدنا من ذلك .

– وماذا جرى لأفراد أسرته ؟

– كانت زوجته امرأة شريفة .. وكانت مصدومة ، ولم تكن تحبذ طريقته فى الحياة ولكنها كانت متدينة وكاثوليكية متعصبة ، ولم تشأ أن تهجره . وقد ماتت منذ سنوات . وابنته تشبهها فى هذه الناحية .. وقد دخلت الدير . أما الشاب ابنه فقد شق طريقه فى أمريكا .

– ألا يحتمل أن يكون ابن كازى قد عرف مخبأ الكأس ؟ .

– لا أظن ذلك . لو حدث هذا لعادت الكأس وظهرت فى الأسواق .

– ربما صهروها .

– هذا جائز جدا ، ولكننى لا أظنه قد حدث ، فان للكأس قيمة كتحفة ثمينة فى نظر هواة جمع التحف . ومع هؤلاء الآخرين تحدث خدع كثيرة تثير الدهشة ، ثم أنهم قوم مجردون من كل القيم الأخلاقية .

– واللصان الآخران ؟

– حكم على ريكوفيتى ودوباى بأقصى العقوبة ،ويجب أن يطلق سراحهما قريبا .

– وهل دوباى فرنسى ؟

– نعم . وهو الرأس المفكرة للعصابة .

– هل كانت العصابة تضم افرادا آخرين ؟

– فتاة تدعى كيت الحمراء ، كانت تلتحق بالبيوت كخادمة ، وتتعرف على المكان الذى توضع فيه الأشياء الثمينة ، وتعد العدة للآخرين . وقد هاجرت الى استراليا بعد حل العصابة .

– هل هناك شخص آخر ؟

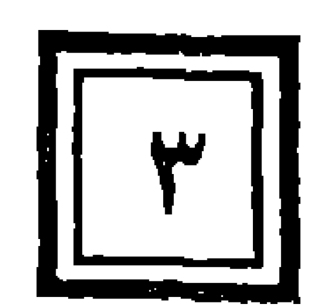
- رجل يدعى يوجونيان ، ومركزه الرئيسى فى مدينة القسطنطينية ، ولكن له محلا آخر بباريس ، ولم نستطع أن نقع على شيئا ضده غير أننا ما زلنا نراقبه .

تنهد بوارو وهو يقرأ دفتر مذكراته : أمريكا ، استراليا ، ايطاليا ، فرنسا وتركيا ..

- سأقوم بجولة حول العالم .

- معذرة ..

- كنت أقول أنه لابد لى من أن أقوم بجولة حول العالم .



كان من عادة هركيول بوارو أن يتناقش فى قضاياه مع خادمه جورج ، وقد قال له فى ذلك اليوم :

- اذا وجدت نفسك مضطرا للتحقيق فى خمسة أماكن مختلفة فى أنحاء العالم فماذا تفعل ؟

- يبدو لى أن الطائرة هى الوسيلة الوحيدة ، ولكننى سمعت أن السفر بالطائرات يضر القلب .

قال بوارو :

- هو ذلك ، ولكن عميلى لا يهمه غير شئ واحد هو النتيجة . ولكن لا داعى لبذل الجهد والطاقة لعمل لا فائدة منه . ولا يجب أبدا أن تفعل بنفسك شيئا يستطيع غيرك أن يفعله مكانك . خاصة اذا كنت لا تهتم بالنفقات .

ونهض وأخرج ملفا من الدولاب تناول منه بطاقة كان قد دون فيها عناوين بعض المخبرين السريين المشهورين وقال :

- هل تتكرم وتدون هذه الأسماء فى ورقة يا جورج : هانكرتون بنيويورك ، ولادن

وبوشر بسيدنى ، وجيوفانى ميتزى بروما ، ومستر ناهوم بالقسطنطينية ، ومسيو روجيه بباريس .

وانتظر لحظة حتى فرغ جورج ثم قال :

– والآن ، أرجو أن تستعلم عن موعد القطار الذى سيقوم الى ليفربول .

– حسنا يا سيدى . ولكن هل يذهب السيد الى ليفربول ؟

– أخشى ذلك . بل ربما أذهب الى أبعد منها ، ولكن فيما بعد .

٤

بعد ثلاثة شهور كان بوارو يقف فوق قمة جبل شاهق يتأمل المحيط . وراحت طيور النورس تحلق فى الجو ، ثم تهبط الى سطح الماء ، وهى تطلق أنينا طويلا . وكان الجو هادئا ورطبا ، وأحس هركيول بوارو بذلك الاحساس الذى يحس به المرء حين يأتى الى أينشجولن لأول مرة ، ويعرف أنه بلغ آخر الدنيا . لم يتصور أبدا مكانا منعزلا مهجورا كهذا .. جمال حزين .. وأثر باق لماض غريب هناك فى غرب ايرلندا لم يطأ الرومان الأرض بأقدامهم قط ، ولم يقيموا معسكرات أو يمهدوا طرقا مبلطة . فى هذا البلد بقيت الحضارة والمدنية مجهولة تماما .

وخفض بوارو بصره الى طرف حذائه اللامع وتنهد . أحس بأنه ضائع ووحيد ، ففى هذه البلاد كانوا لا يعرفون وسائل الرائحة الحديثة التى تعرفها البلاد الأخرى .

وانتزع نفسه من تأملاته ، ومضى فى طريقه بخطى واسعة . وبعد عشر دقائق وجد نفسه أمام جدار يتوسطه باب حديدى فاقترب منه ورفع المطرقة ، ولكنه لم يلبث أن أفلتها من يده وفى حرص شد سلسلة يعلوها الصدأ أصدرت رنينا خافتا .

وفتحت كوة فى الباب الحديدى ، وأطل منه وجه تعلوه أمارات الشك ، ويبدو فوق شفته العليا شارب ، ولكن الصوت الذى صدر منه كان صوت امرأة . امرأة مخيفة

سألت بوارو عما يريد .

- أهذا دير القديسة مارى ؟

أجابته المرأة وهى تحاول أن تبتسم ابتسامة بدت كأنها تكشيرة .

- وماذا تريد أن يكون ؟

- أريد أن أتحدث الى رئيسة الدير .

ترددت المرأة ترددا يسيرا ، ثم أحنت رأسها . وسمع بوارو صوت المزلاج الحديدى وهو يرفع عن مكانه ، ثم فتح الباب ، وتقدمته المرأة الى غرفة صغيرة عارية يستقبلون فيها زوار الدير :

ولم تلبث أن أقبلت الراهبة ، وفى حزامها مسبحة . وكان هركيول بوارو كاثوليكيا فلم بدهشة جو المكان وقال :

- التمس معذرتك أيتها الأم اذا كنت قد أزعجتك ، ولكن يوجد بين راهباتك واحدة كانت تعرف فى الدنيا باسم كيف كازى .

أحنت الأم الرئيسة رأسها وقالت :

- هذا صحيح . واسمها فى الرهبنة هو الأخت مارى أورسولا .

- ان فى مقدور الأخت مارى أورسولا أن تساعدنى فهى تعرف معلومات على جانب كبير من الأهمية بالنسبه لى .

هزت الأم الرئيسة رأسها وقالت فى هدوء دون أن تتغير قسمات وجهها :

- ان الأخت مارى أورسولا لا تستطيع مساعدتك .

- ولكننى أؤكد لك .

- أن الأخت مارى أورسولا ماتت منذ شهرين .

***

٥

جلس هركيول بوارو فى بار جيمس دونوفان ، فوق مقعد غير مريح ، مستندا الى الحائط . ولم يكن الفندق مطابقا أبدا للفكرة المعروفة عن فندق من هذا النوع .. كانت يايات فراشه مكسورة ، وكذلك لوحان من الألواح الزجاجية للنافذة والماء الساخن الذى أتوه به كان فاترا والوجبة التى قدموها له تسببت له فى آلام غريبة فى معدته .

وكان بالباب خمسة رجال يتكلمون فى السياسة ، ولم يفهم مما يقولون شيئا تقريبا ولكنه لم يعبأ بذلك .

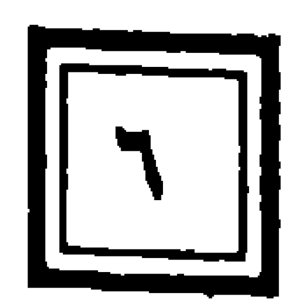
وتحول ليرى رجلا جالسا بجواره . كان يختلف قليلا عن الآخرين ، وكان شكله يدل على أنه من سكان المدن ، ولكنه كان رث الثياب .

قال فى وقار :

– صدقنى يا سيدى أن بيجين برايد ليست له أية فرصة .. لن يتم السباق . بكم تراهن .. ؟ هل تعرف من أنا .. ؟ أن اسمى أطلس .. نعم ، أطلس .. أن نصائحى لا تخيب أبدا ، واذا قلت لك أن بيجين برايد لن يربح السباق ، فهو لن يربح . اسمع نصائح أطلس تكسب ..

نظر بوارو اليه فى اهتمام ، وفى شئ من الاحترام وقال فى صوت متهدج :

– يا الهى .. هذا فأل حسن .



مرت بضع ساعات ، وكان القمر يختفى من وقت لآخر خلف سحابة ، ثم لا يلبث أن يظهر من جديد . وكان بوارو وصديقه الجديد قد قطعا كيلو مترات كثيرة ، وراح المخبر يعرج وهو يقول لنفسه أن الأحذية اللامعة البراقة لا تصلح للسير فى هذه المناطق الوعرة .

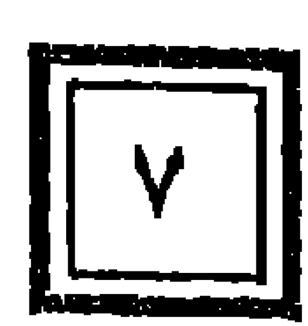
وقال زميله :

- قل لى .. هل أنت واثق أن القسيس لن يقول شيئا ؟ لا أريد أن أثقل ضميرى بأثم كبير .

- ولكنك لا تفعل أكثر من أنك تعيد ما لقيصر لقيصر .

وكانا قد بلغا الدير ، فتأوه أطلس ، وأحس بالخواء ولكن المخبر قال فى حدة :

- ليفرغ روعك .. انك لا تتحمل الدنيا ، وانما ثقل هركيول بوارو فحسب .



طوى أطلس بعناية كبيرة ورقتين من فئة الخمسة جنيهات وقال وكله أمل :

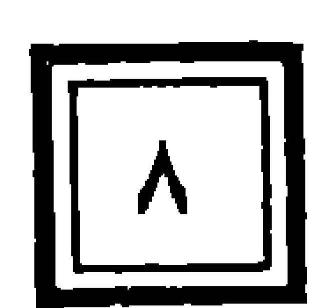
- ربما لا أتذكر غدا كيف اكتسبتهما ، ومع ذلك فأننى أخشى أن يعرف القسيس أووريللى .

- أنس كل شئ يا صديقى . غدا يكون العالم ملك يديك .

- هناك ووركينة لاد .. أنه جواد أصيل .. وهناك شيلا بوين .. هل تقول ان اسمك هركيول .. ان هناك جوادا بهذا الاسم .

- ضع نقودك عليه يا صديقى وصدقنى أنه لا يمكن أن يخسر .

وفعلا ربح هركيول السباق ، ولم يكن أحد يتوقع نجاحه ، وكان المتراهنون عليه قلة، فربح أطلس بجنيهاته العشرة ستمائة جنيه .



أخذ بوارو يفك الربطه بعناية وحرص شديدين ، فأزال أولا الورق الأسمر ، ثم القطن المندوف ، وأخيرا الورق الحريرى .

ووضع فوق مكتب ايمرى بوير كأسا من الذهب المرصع بالزمرد .

وحبس المالى أنفاسه وقال أخيرا :

- أننى أهنئك يا مستر بوارو .

وانحنى المخبر انحناءة خفيفة مبديا احترامه . ومد ايمرى بوير يده ولمس بأطراف أصابعه حافة الكأس وقال فى صوت أجش :

- انها ملكى .

- نعم . انها ملكك .

أطلق بوير زفرة ، ثم اعتدل واضطجع فى مقعده الى الخلف . وقال فى صوت عادى :

- أين وجدتها ؟

- فوق مذبح .

أجفل بوير واستطرد بوارو :

- نعم . كانت ابنة كازى راهبة ، وكانت تهم بدخول الدير فى الوقت الذى مات فيه أبوها ، وكانت فتاة جاهلة ، ولكنها كانت تقية . وكانت الكأس مخبأة فى بيت أبيها بليفربول ، فأخذتها الى الدير لكى تكفر بها عن خطايا أبيها كما أظن . وأعطت الكأس للرئيسة ، لكى تساهم فى مجد الله ، ولا أعتقد أن الراهبات عرفوا قيمتها أبدا . لم تكن فى نظرهن غير كأس عادية ، واستخدمنها بهذه الصفة .

- يا لها من قصة غريبة .. من الذى أوصى اليك بأن تذهب هناك .

هز بوارو كتفيه وقال :

- اننى قمت بالاستنتاج ، واستبعاد بعض النقاط .. أثارت دهشتى نقطة واحدة وهى أنهم لم يحاولوا أبدا بيع الكأس . ولم يكن هناك لهذا غير معنى واحد ، هو أن الكأس موجودة فى مكان لا يهتم فيه أحد بقيمة الأشياء المادية . ولم ألبث أن تذكرت أن ابنة باتريك كازى كانت راهبة .

- أننى أهنئك من كل قلبى . اذكر لى الآن قيمة أتعابك فأحرر لك شيك .

- اننى لا أبغى أتعابا .

قال بوير مشدوها :

- كيف هذا ؟

- هل قرأت وأنت صغير قصص الأطفال التى يقول فيها الملك " اطلب منى ما تريد " .

- هل تطلب شيئا ؟ .

- نعم .. ولكنه ليس مالا .. أريد أن أبدى مجرد رجاء بسيط ..

- وما هو .. ؟ أتريد نصيحة للمضاربة فى البورصة .

- انما يكون هذا طلبا للمال بصورة أخرى . ان طلبى أبسط من هذا بكثير .

- وما هو ؟

وضع هركيول بوارو يده على الكأس وقال :

- أعدها الى الدير .

ساد صمت قصير قطعه ايمرى بوير أخيرا بقوله :

- لعلك أصبت بمس من الجنون ؟

هز بوارو رأسه وقال :

- كلا . أبدا . انظر . سأريك شيئا .

وأخذ الكأس ، ودس طرف ظفره بين فكى الثعبان الملتف حول الشجرة وضغط عليه وظهرت فتحة صغيرة بداخل الكأس عند أسفل المقبض المنقوش :

- هل رأيت .. ؟ من هذه الفتحة يتسرب السم فى الشراب . وأنت نفسك قلت لى أن لهذا الكأس قصة شيطانية ، لم تترك خلفها غير ذكريات من العنف والنحس ومن يدرى اذا كان النحس لا يصيبك بدورك .

- خرافة ..

- ربما .. ولكن لماذا تتمسك بالحصول عليه .. ؟ ليس لجماله ولا لقيمته ، فأن لديك مئات ، بل ربما ألوفا من التحف الفنية النادرة والرائعة . ولكنك تريد الابقاء على عظمتك ، ولا تحب أن تقهر . حسنا ، انك لم تقهر ، بل ربحت ، وأصبحت الكأس بين يديك . ولكن لماذا لا تأتى الآن بعمل جليل من أعمال الخير ؟ أعدها حيث بقيت فى سلام طوال عشر سنوات ، حيث الطهر والعفة . انما كانت ملكا للكنيسة فيما سبق فأعدها للكنيسة .. ودعنى أصف لك المكان الذى وجدتها فيه .. انه حديقة السلام الدائم ، تنظر عبر البحر الى جنة مفقودة من الجمال والشباب الخالد .

ثم وصف له اينشجولن وجمالها وفتنتها بكل بساطة ، ووضع ايمرى بوير يده فوق عينيه ، ولزم الصمت . وقال أخيرا :

- اننى ولدت على الضفة الغربية لايرلنده ، ولم أكن بأكثر من طفل عندما هاجرت الى أمريكا .

قال بوارو بهدوء :- اننى أعرف ذلك .

اعتدل المالى ، وومض فى عينيه بريق حاد ، وقال :

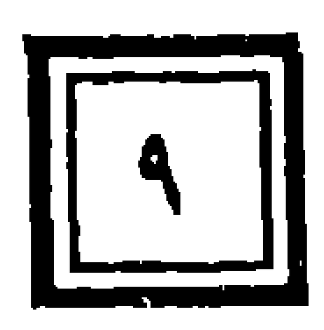
- انك رجل عجيب يا مستر بوارو . افعل كما تريد . أعد هذه الكأس الى الدير . قل لهم أنها هدية منى .. هدية ثمينة جدا .. كلفتنى ثلاثين ألف جنيه .. ولكن ماذا أحصل عوضا عنها ؟ .

أجاب بوارو فى لهجة الجد :- ستصلى الراهبات من أجل خلاص روحك .

ارتسمت ابتسامة ضارية على ملامح بوير وقال :

- من يدرى .. لعلها استثمار طيب .. أحسن الاستثمارات التى قمت بها فى حياتى .

* * *



فى الممر الصغير للدير روى هركيول بوارو القصة للام الرئيسة ، ثم أعطاها الكأس فتمتمت .

– قل له أننا سنصلى من أجله .

– انه بحاجة الى صلاتكم .

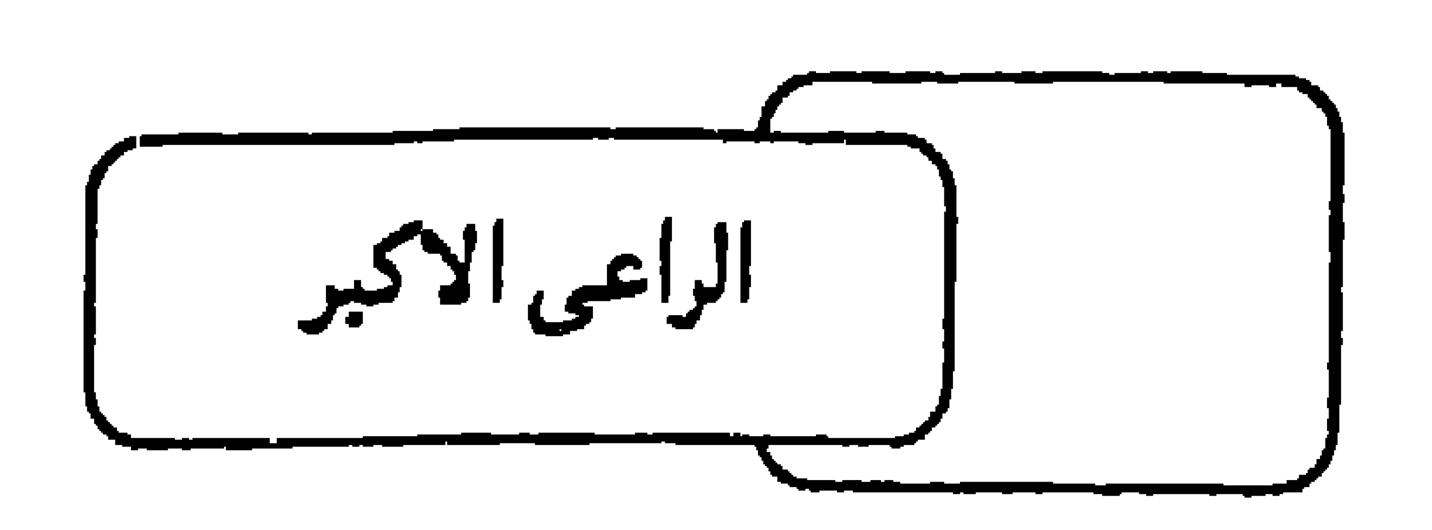
– أهو يائس الى هذا الحد ؟

– بلى انه من البؤس بحيث نسى معنى السعادة ، وبحيث لا يعرف أنه بائس .

– آه .. هو رجل غنى جدا اذن ؟

لم ينطق بوارو .. فلم يكن هناك ثمة ما يقال .

***



الراعى الاكبر

- التمس معذرتك لازعاجى اياك يا مستر بوارو ... اننى استغل وقتك حقا .

وراحت مس كارنابى تلوى حقيبتها بيديها الاثنين ، وتنظر الى بوارو فى قلق ، وكانت تبدو مبهورة الأنفاس كعادتها .

نظر بوارو اليها فى اهتمام كبير فى حين استطردت هى تقول فى جزع :

- انك مازلت تذكرنى ، أليس كذلك ؟

أجاب بوارو فى خبث :

- مازلت اذكر انك اذكى مجرمة التقيت بها فى حياتى .

- أوه ، لا يجب أن تقول هذا يا مستر بوارو . انك كنت كريما جدا معى ، وأنا واميلى لا نتحدث الا عنك فى كل وقت ، واذا ما وجدنا مقالا فى جريدة يتحدث عنك قطعناه والصقناه فى البوم خاص . أما أوجست فقد علمناه لعبة جديدة ، فنقول له ، مت فى سبيل مستر هركيول بوارو فيتمدد على الأرض على الفور ، ويتماوت ولا يتحرك الا اذا سمحنا له بذلك .

قال بوارو :

- شكرا لك . وكيف حاله ؟

ضمت مس كارنابى يديها وقالت فى لهجة مؤثرة تمتدح كلبها البكينى الصغير :

- اوه يا مستر بوارو ... انه يزداد ذكاء ، ويعرف كل شئ . تصور اننى وقفت منذ أيام أتأمل طفلا وليدا فى عربة عندما أحسست به يحاول أن يقطع مقوده بأسنانه ... ما رأيك فى هذا ؟

ومض فى عينى بوارو وميض يدل على الطرب وقال :

- يبدو لى أن أوجست يشارككما ميلكما العجيب للجرائم .

لم تضحك مس كارنابى ، وانما مرت على وجهها سحابة ، وقالت فى صوت مبحوح بعض الشئ :

- مستر بوارو ... اننى شديدة الانزعاج .

سألها المخبر فى رفق :

- ما الخبر ؟

- أوه ... ان الأمر لا يعدو أن يكون مجرد أفكار غريبة ، وهى تزعجنى كثيرا . ولما كنت قد نشأت فى أسرة محافظة ، ذات مبادئ صارمة فانه ليدهشنى أن تمر بذهنى مثل تلك الأفكار الفاسقة والآثمة . ولاريب أن سبب هذا كله هو ما أجده من فراغ ، فأننى تركت خدمة الليدى هوجينى ، والتحقت بخدمة سيدة مسنة ، لكى أطالع لها واكتب لها خطاباتها كل يوم ، وهى خطابات قليلة سرعان ما أفرغ منها ، وما أن أقرأ لها حتى يغلبها النعاس .. وأجد نفسى بلا عمل . ونحن نعرف كيف يتعرض المرء لاغراء الشيطان حين لا يجد ما يشغل به وقته .

- آه ، حسنا ؟

- وقد قرأت أخيرا كتابا ... كتابا ترجم حديثا عن الألمانية ، ويلقى ضوءا هاما على الغرائز الاجرامية ، فهمت منه انه لابد أن يسمو المرء بأفكاره ، ولهذا أتيت لمقابلتك .

قال بوارو :

- نعم ؟

- أظن يا مستر بوارو أن الأمر تعطش للاثارة أكثر منه ميلا للاجرام . ولسوء الحظ اننى قضيت حياة رتيبة ، ويخيل لى أن مغامرة الكلاب البكينى هى المغامرة

الوحيدة التى أحسست فيها بطعم الحياة ... ومن السوء أن اتكلم هكذا ، كما يقول الكتاب ، ولكن لا يجب أن نولى ظهورنا للحقيقة ... واذا كنت قد أتيت اليك يا مستر بوارو ، فذلك لأنني قد أجد شيئا أملأ به الفراغ الذى أحس به ... شيئا يفيد المجتمع بدلا من أن يضره .

قال بوارو :

- ها هى ... أنت تتقربين الى كزميلة اذن ؟

أحمر وجه مس كارنابى وقالت :

- لست مغرورة الى هذا الحد ، ولكنك كنت كريما معى و ...

وأمسكت ، وأرتسم فى عينيها الزرقاوين توسل صامت ، وقال هركيول بوارو فى بطء :

- هذه فكرة .

وعادت مس كارنابى تقول :

- اننى أعرف طبعا أننى لست ذكية ... ولكننى أملك موهبة كبيرة فى الاخفاء... وهى موهبة لابد منها فى مهنتى ، والا تعرضت الواحدة منا للطرد على الفور . بل اننى لاحظت أن هناك حالات يجب أن يتظاهر فيها المرء بأنه أغبى الأغبياء .

راح بوارو يضحك وقال :

- انك تثيرين دهشتى يا آنسة .

- أوه ، ما أكرمك يا مستر بوارو ؟... استطيع أن اتذرع بالأمل إذن . لقد آل الى ميراث صغير ، ولكنه يسمح لى أنا وأختى أن نعيش فى بحبوحة ، بحيث استطيع الاستغناء عما اكتسبه من عملى .

قال بوارو :

- يجب أن افكر كيف استخدم موهبتك على خير ما يكون ، ذلك الا اذا كانت

لديك أنت فكرة ما .

- آه يا مستر بوارو ... انك تقرأ الأفكار حقا . انني أحس ببعض القلق منذ وقت بخصوص صديقة لي ، وكنت أهم باستشارتك ، ولعلك تقول لي انها مجرد أوهام وتخيلات فتاة عانس ... والمرء منا مجبول عادة على المبالغة ، وقد يعمل من الحبة قبة .

- لا أعتقد أنك تميلين الى المبالغة يا آنسة . قولي لي ماذا يشغلك .

- حسنا اليك القصة . ان لي صديقة حميمة جدا ، وان كنت لم أرها كثيرا في الأيام الأخيرة . اسمها ايملين كليج ، تزوجت في شمال انجلترا ، ومات زوجها منذ سنوات ، مخلفا لها ثروة كبيرة . وقد وجدت نفسها وحيدة وحائرة بعد موته ، وهي لسوء الحظ ساذجة في بعض النواحي ، والدين يا سيدي يمكن أن يكون عونا كبيرا .

سألها بوارو :

- هل تعنين الكنيسة اليونانية ؟

أجابت مس كارنابي في امتعاض .

- كلا ، وانما أعني الكنيسة الانجليكية . وعلى الرغم من انني لا أحب المذهب الكاثوليكي الا أنه دين على كل حال ، وهوالمذهب الاورثودوكسي مذهبان معروفان ومحترمان . أما الذي أعنيه حقا فهي تلك المذاهب المتباينة ، وهي كثيرة وتظهر من وقت لآخر ، وفيها نوع من الميول العاطفية ، ولكن تنتابني في بعض الأوقات شكوك خطيرة تتعلق بالوجود .

- هل تظنين أن صاحبتك ضحية لمذهب من هذه المذاهب ؟

- أوه ، نعم . أظن ذلك . وصاحب هذا المذهب يدعو نفسه " الراعي الأكبر " . ومقره العمومي في مقاطعة دنيونشاير ، في بيت كبير جميل على شاطئ البحر ، ويقوم فيه الأعضاء بالمراسيم الدينية كل خمسة عشر يوما . وهناك ثلاثة اعياد كبيرة

كل سنة : دنو المرعى ، والمرعى ، وحصاد المرعى .

قال بوارو :

- وهذا يدل على منهى الغباء لأنه لا يمكن حصد المرعى .

قالت مس كارنابى فى حدة :

- أن كل هذه القصة تنطق بالغباء . والمذهب كله يدور حول صاحبه ، وهو الراعى الأكبر كما يدعونه ، طبيب اسمه اندرسن ، وهو رجل اعتقد انه وسيم ، وعلى جانب كبير من الوقار .

- ولا ريب انه يروق للنساء ؟

قالت مس كارنابى وهى تتنهد :

- أخشىُ ذلك . كان أبى رجلا وسيما جدا ، وكان يشعر بالحرج كثيرا فى الكنيسة... المنافسة لتطريز الثياب الكهنوتية ... وتقسيم العمل بين سيدات القرية .

وهزت رأسها فى تفكير ، وهى تتذكر هذه الأمور .

وسألها بوارو :

- وأظن أن أعضاء هذا المذهب أكثرهم من النساء ؟

- ثلاثة أرباعهن على الأقل .. والرجال القلائل المنضمون اليه من المعتوهين تقريبا. ونجاح الحركة كلها يتعلق بالسيدات ... وبالأموال التى يقدمنها .

قال بوارو :

- آه ... هذا هو بيت القصيد ، اذن فأنت تعتقدين أن وراء الأكمة ما وراءها ؟

- اذا أردت الصراحة ، فنعم يا مستر بوارو . وهناك شئ آخر يزعجنى ، فقد سمعت صدفة أن صديقتى تعلقت بهذا المذهب الجديد ، بحيث أنها كتبت وصية توصى بثروتها كلها لهذه الحركة .

أسرع بوارو يسألها قائلا :

– أهو الذى أوصى اليها بذلك ؟

– كلا . أن الفكرة فكرتها هى ، فقد أراها الراعى الأكبر الطريق لحياة جديدة ... ولهذا يجب أن يؤول كل ما تملكه الى هذه الحركة الكبيرة بعد موتها . وان ما يشغلنى فى الواقع هو ...

– نعم ... استمرى .

– من بين المؤمنات نساء كثيرات على جانب كبير من الثراء ، وفى العام الماضى ماتت منهن ثلاثة على الأقل .

– وأوصيت كل منهن بثروتها لذلك المذهب ؟

– نعم .

– ألم تحتج عائلاتهن ؟ .. لاريب أنه كانت هناك دعاوى وخصومات .

– أن أغلب النساء فى هذا المذهب وحيدات فى الحياة ، ليس لهن أقارب ولا معارف .

هز بوارو رأسه فى تفكير ، وأسرعت مس كارنابى تقول :

– ليس من حقى طبعا أن أبدى أى اتهام ، ولكن المعلومات التى جمعتها تؤكد لى انه ليس فى هذه الوفيات أى شئ شاذ . وأظن أن هناك واحدة ماتت بذات الرئة بعد نزلة شعبية جادة ، وان أخرى ماتت بقرحة فى المعدة . ليست هناك فعلا أية ظروف مشبوهة ثم أن الوفيات لم تقع فى معبد جرين هيلز ، وانما فى منازل تلك السيدات . اننى مقتنعة أنه ليس هناك ما يدعو الى القلق ، ولكننى مع ذلك ... لا أريد أن يقع لابى أى شئ .

وضمت يديها ونظرت الى بوارو فى رجاء .

وبقى هذا الأخير صامتا بضع دقائق ، وعندما تكلم أخيرا كان صوته قد تغير ، فقال فى لهجة خافتة :

- هل يمكنك أن تعطيني أو تمديني بأسماء وعناوين السيدات اللاتي توفين حديثا ؟.

- طبعا يا سيدي .

- انني أعرف انك شجاعة جدا ونشيطة جدا وتملكين موهبة كبيرة في التمثيل ، فهل يمكنك القيام بمهمة قد يكون فيها خطر جسيم ؟

قالت مس كارنابي في صدق :

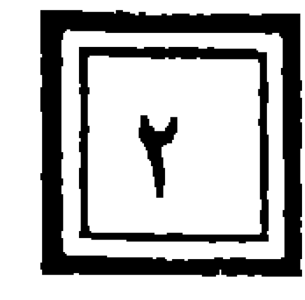
- لا شئ يسرني أكثر من ذلك .

حذرها بوارو ثانية فقال :

- اذا كان هناك ثمة خطر ، فهو خطر جسيم فعلا .. فأما أن لا يكون أي شئ ، وأما أن يكون هناك شئ خطير . ولكي نعرف ذلك يجب أن تنضمي أنت نفسك الى هذا المذهب الجديد ، وأنصحك أن تبالغي في مقدار الميراث الذي آل اليك أخيرا ، وأن تقولي انك في بحبوحة تامة ، وأن لا هدف لك في الحياة . تكلمي مع صديقتك اميلن عن هذا المذهب الذي اعتنقته ، وقولي لها انه حماقة ، وستحاول عندئذ أن تهديك الى الصراط القويم ، فجاريها ، واذهبي معها الى جرين هيلز ، وهناك استسلمي لاغراء الدكتور اندرسن ، وأخضعي لقوة اقناعه ولقوته المغنطيسية ، وأظن أنني استطيع الاعتماد عليك في الباقي .

ابتسمت مس كارنابي في تواضع وقالت :

- أظن أنني سأستطيع التصرف .



- حسنا يا صديقي . ما أخبارك ؟

أجاب المفتش جاب عابس الأسارير :

– نوع الأخبار التى ابغضها يا بوارو ، فاننى اكره هؤلاء المتدينين ، بشعورهم الطويلة ، والذين يروون للسيدات عددا كبيرا من الخزعبلات . بيد أن هذا الرجل حريص جدا ، ولم أستطع أن أجد شيئا ضده .. يبدو انه مهووس ولكنه مسالم غير مؤذ.

– هل عرفت شيئا عن ذلك المدعو الدكتور أندرسن ؟

– انني حاولت أن أعرف سوابقه . كان كيميائيا ، وكانوا يعلقون عليه الآمال الكبار ولكنه طرد من جامعة المانية ، ولا ريب أن أمه كانت اسرائيلية .. وقد اهتم دائما بدراسة علم الأساطير والديانات الشرقية ، وكرس لها أوقات فراغه ، ونشر بضع مقالات فى هذا الموضوع ولم أفهم الكثير مما جاء فيها .

– من المحتمل أذن أن يكون صادقا فى تعصبه .

– أرانى مضطرا للاعتراف بأن هذا محتمل جدا .

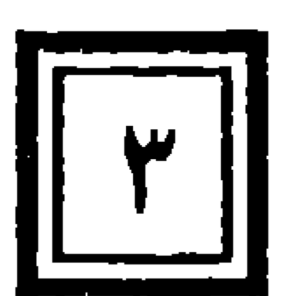
– والأسماء والعناوين التى أعطيتها لك ؟

– ليس هناك أى شئ فى هذه الناحية أيضا ، فقد ماتت مس ايفريث من قرحة فى المعدة ، ويؤكد الطبيب أنه ليس هناك ما يدعو الى الاشتباه فى شئ . وماتت مسز لويد بذات الرئة على أثر نزلة برد ، أما الليدى وسترن فماتت بالسل ... وكانت مريضة منذ سنوات ... قبل أن تسمع عن الدكتور اندرسن بكثير . وماتت مس لى بمرض التيفوئيد ، ويقال انها اصيبت به أثر تناولها سلطة فى شمال انجلترا ، وثلاثة منهن أصبن بالمرض وتوفين فى بيوتهن ، أما مسز لويد فماتت فى أحد الفنادق بجنوب فرنسا . ومن ناحية الوفيات ليس هناك ما يربطهن بالراعى الأكبر ، بمعبد اندرسن فى الديفونشاير . ولاريب أنها مجرد صدفة . كل شئ سليم تماما .

تنهد هركيول بوارو وقال :

– ومع ذلك فيخامرنى احساس بأن وراء الأكمة ما وراءها ، وان هذا المدعو

اندرسن مجرم عريق فى اجرامه .



قالت مس كارنابى وهى تأخذ نفسا عميقا فى نشوة كبرى :

- ما أروع هذا الاحساس بالهدوء والسلام .

قالت ايلين كلج :

- ألم أقل لك .

كانت الصديقتان جالستين فوق منحدر تل يشرف على بحر شديد الزرقة ، وكان العشب أخضر ، والشاطئ الصخرى بلون أحمر قاتم ، والبيت المعروف باسم معبد جرين هيلز يشغل رابية كبيرة ، ويحتل مساحة تقرب من ثمانية فدادين ، ولم يكن يربطها بالأرض الصلبة غير برزخ ضيق ، بحيث بدت كما لو كانت جزيرة حقيقية .

وتمتمت مسز كلينتج فى رصانة مصطنعة :

- الأرض الحمراء ... أرض الوعد النور حيث سيتحقق المصير الثلاثى .

أطلقت مسز كارنابى تنهيدة عميقة وقالت :

- لقد شرح " المعلم " كل ذلك بصورة واضحة أمس .

أسرعت صديقتها تقول :

- وسترين الليلة شيئا عجبا ... بلوغ المرعى أوج النضج .

قالت مس كارنابى :

- أن البهجة تملأ قلبى مقدما .

وعدتها صديقتها بقولها :

- ستكون تجربة روحية رائعة لك يا عزيزتى .

وكانت مس كارنابى قد اقبلت الى معبد جرين هيلز منذ أسبوع ، وابتدرت

صديقتها قائلة : " ما هذه الحماقة . الحق انني كنت أظن ان امرأة عاقلة مثلك يا ايمي.. الخ .. الخ ...

وفي أول لقاء لها مع الدكتور اندرسن حرصت على أن تضع النقط فوق الحروف فقالت :

– لا أريد أن أجد نفسي في موقف غير صحيح يا دكتور ... أن أبي كان قسيسا انجيلكانيا ، وعقيدتي لم تهتز أبدا ، ولا أقبل المذاهب الوثنية .

وابتسم الرجل الطويل القامة ذو الشعر الذهبي ابتسامة كلها عطف وادراك . والقى نظرة متسامحة الى تلك المرأة القصيرة البدينة الشرسة المتربعة على مقعدها وقال:

– عزيزتي مس كارنابي . أنت صديقة مسز كليج ، ومرحبا بك بهذه الصفة . ولكن صدقيني أن مذهبنا ليس فيه أي شئ من الوثنية . اننا نقبل هنا كل الاديان ونحترمها .

وقالت مس كارنابي لصديقتها حين غادرهما " المعلم " .

– انه رجل وسيم حقا وكريم جدا .

أجابت ايملين كليج :

– نعم . وله روح رائعة حقا .

وحاولت أن تتمالك نفسها ، فهي لم تأت هنا لكي تغدو فريسة سحر الراعي الأكبر الروحي أو غيره ، وأستعادت في ذهنها صورة هركيول بوارو ... بدا بعيدا جدا ومبتذلا ، وقالت تحدث نفسها :

– آمي .. يجب أن تثوبي الى نفسك يا صديقتي . لا تنسي لماذا أنت هنا .

ولكن كلما مرت بها الأيام رأت أن من السهل جدا أن تستسلم لسحر جرين هيلز . فهذا السلام ، وهذه البساطة ، وهذا الطعام اللذيذ على الرغم من بساطته . وجمال

القداس بما فيه من أغانى الحب والعشق ، وكلمات " المعلم " البسيطة المؤثرة التى يناشد بها أحسن العواطف البشرية وأسماها ... كل دمامات العالم الحقود انتفت من هذه الاماكن الساحرة ... لم يكن هنا غير السلام والحب .

وفى تلك الليلة اقيمت حفلة الصيف الكبير المعروفة بعيد النضج ، وكان يجب أن تعرف ايمى كارنابى الاسرار فى تلك الليلة ، وان تصبح من " الرعايا " .

وأقيم العيد فى المبنى الكبير الذى يتلألأ بالبياض ، والذى يدعوه الأعضاء بالحظيرة المقدسة . وكان المؤمنون يجتمعون فيه قبيل غروب الشمس ، وهم يرتدون ثيابا من غير اكمام ، مصنوعة من جلود الغنم ، ويلبسون في أقدامهم صنادل . ووقف الدكتور اندرسن فوق منصة ، وكان مهيبا بشعره ولحيته الشقراء ووجهه الوسيم ، وكان يرتدى ثوبا أخضر ، ويمسك فى يده عصا من الذهب .

ورفع العصا عاليا فساد الصمت المطبق على الفور .

- أين رعاياى ؟

صاح الجميع يقولون :

- نحن هنا أيها الراعى .

- فلتمتلئ قلوبكم بالبهجة والشكران ، فهذا هو عيد البهجة .

- عيد البهجة ونحن فرحون .

- لن تعرفوا الأشجان ولا الأحزان بعد اليوم ... لا شئ الا البهجة .

- لا شئ الا البهجة .

- كم رأس للراعى ؟

- ثلاثة رؤوس ... رأس من الذهب ، ورأس من الفضة ، ورأس من البرونز .

- كم جسم للراعى ؟

- ثلاثة أجسام .. جسم من لحم ، وجسم من فساء ، وجسم من نور .

- كيف يتم تثبيتكم كاعضاء فى الرعية ؟

- برباط الدم .

- هل انتم على استعداد لذلك ؟

- نحن على استعداد .

- احجبوا أعينكم وابسطوا اذرعتكم اليمنى .

وأمتثل الجميع على الفور ، فغطوا عيونهم بمناديل جاءوا بها لهذا الغرض وبسطت مس كارنابى ذراعها كالجميع .

ومر الراعى الأكبر بالصفوف ، وتناهت الى الاسماع صيحات خافتة وتأوهات كان يمكن أن يكون مصدرها النشوة أو الألم .

وقالت مس كارنابى تحدث نفسها فى شراسة :

- كل هذا تجديف ... هذه الهستيرية الدينية أمر يؤسف له ... يجب أن أبقى متمالكة لنفسى ، وان اراقب ردود الفعل عند الآخرين . لا أريد أن أنقاد ... لا أريد

وكان الراعى الأكبر قد اقترب منها ، وأحست بأنه يمسك ذراعها ، وشعرت بألم صغير حاد أشبه بشكة الحقنة . وتمتم الراعى يقول :

- رباط الدم الذى يأتى بالبهجة .

وتركها الى غيرها .

وبعد قليل سمعوا صوتا يقول :

- اكشفوا عيونكم واستمتعوا بالبهجة الروحانية .

كانت الشمس آخذة فى المغيب . ورددت مس كارنابى البصر حولها . وخرجت من الحظيرة مع الجميع فى بطء ، وأحست فجأة بأنها سعيدة ، وانها خفيفة الحركة تكاد تطير ، وتهالكت فوق العشب ... لماذا فكرت فى هذه اللحظة انها فتاة عانس وحيدة

لا يريدها أحد ؟ ... ان الحياة رائعة ... وهى نفسها رائعة ... انها تملك قوة التفكير والقدرة على الأحلام .. ليس هناك شئ لا تستطيع القيام به . واستولت عليها موجة من الخفة والمرح . ونظرت الى الذين حولها ... الى اخوتها فى العبادة ، وبدوا لها فجأة كأنهم كبروا بصورة مدهشة وقالت تحدث نفسها فى شئ من الخوف والاحترام .

- كأنهم أشجار تمشى .

ورفعت يدها . وكانت لهذه الحركة غاية محدودة ، فانها أصدرت بها أوامرها للعالم أجمع ... ماذا يكون قيصر ونابليون وهتلر بالنسبة لها .. لا شئ أبدا ... انهم لا يعرفون شيئا عما تستطيع هى القيام به ... هى آمى كارنابى ... غدا ستفرض السلام العالمى والاخاء الدولى ... لن تكون هناك حروب ولا فقر ولا مرض ... هى ، آمى كارنابى ، ستبنى عالما جديدا .

ولكن لم يكن هناك أى داع لكى تتعجل ، فان الوقت أمامها غير محدود ... وتتابعت الدقائق أثر الدقائق والساعات أثر الساعات ، وأحست آمى بأطرافها ثقيلة ولكن روحها كانت منطلقة ... كانت روحها تستطيع الانتقال فى كل مكان فى هذا العالم الواسع . ونامت .. ولكنها راحت تحلم وهى نائمة ... أماكن واسعة ، ومبانى كبيرة ... عالم جديد مدهش .

وشيئا فشيئا أخذت الدنيا تضيق ، وراحت مس كارنابى تتثاءب . وحركت أعضاءها المخدرة . ما الذى حدث لها منذ الامس ؟ انها رأت مناما مساء الامس .

كان القمر يسطع فى كبد السماء ، واستطاعت مس كارنابى أن تتبين عقارب ساعتها ، فاذا بها الساعة العاشرة الا الربع ، وكانت تعرف أن الشمس قد غابت وراء الافق فى الثامنة وعشر دقائق . لم يمض عليها اذن غير ساعة وخمس وثلاثين دقيقة ؟ . هذا مستحيل ... ومع ذلك ...

وقالت تحدث نفسها :

- هذا عجيب .

٤

قال هركيول بوارو :

- يجب أن تتبعى تعليماتى بكل دقة . هل تفهمينى ؟

- أوه ، نعم يا مستر بوارو . يمكنك أن تطمئن .

- هل ابديت نيتك فى تحرير وصية لهذه الجمعية ؟

- نعم يا مستر بوارو . تكلمت مع " المعلم " ... عفوا ، مع الدكتور اندرسن . قلت له فى انفعال كبير أن كل هذا الذى تكشف لى كان وحيا ... واننى كنت قد اتيت بقصد السخرية ، ولكننى بقيت لكى اتعلم ... والحق اننى قلت كل ذلك بلهجة طبيعية وان للدكتور اندرسن سحرا كبيرا .

قال هركيول بوارو فى لهجة جافة :

- اننى ادركت ذلك .

- وكان تصرفه معى مقنعا . وبدا لى انه لا يهتم حقا بالمسائل المالية ، وقال بابتسامته الرائعة " أعطى ما تستطعين ، ولكن اذا كنت لا تستطعين أن تعطى شيئا فلا أهمية لذلك . انك الآن جزء من الرعية " . وقد أجبته قائلة : " اننى لست فقيرة ، فقد ورثت مبلغا كبيرا من المال من قريب بعيد ، واذا كنت لا أستطيع أن أقرب هذا المال قبل اتمام الاجراءات القانونية ، فان هناك شيئا أريد أن أفعله من الآن " . وقلت له عندئذ اننى سأكتب وصية ، واننى سأترك كل ما أملكه للحركة . وأوضحت له أنه ليس لى أهل ولا أقارب .

- وهل قبل هذا العرض بسهولة ؟

- بل بغير اكتراث . قال اننى سأعيش مدة طويلة ، واننى صحيحة البدن ، وانه

واثق انني سأقضي حياة كلها بهجة ، حافلة بالأعمال الريحانية لسنوات كثيرة والحق انه تكلم بطريقة مؤثرة جدا ،- يبدو ذلك .

وكانت لهجة بوارو جافة ، واستطرد :

- هل حدثته عن صحتك ؟

- نعم يا مستر بوارو . قلت له أنني أصبت بمرض رئوي وانتكست عدة مرات ، وانني عولجت في المستشفى وشفيت .

- عظيم .

- ولكن يجب أن أقول انني لا أرى لماذا اضطررت أن أقول له انني مصدوره ، في حين أن رئتي سليمتان .

- ثقي أن هذا كان ضروريا . هل تحدثت عن صديقتك ؟

- نعم . قلت له على سبيل السر أن هذه العزيزة ايملين ، فيما عدا الثروة التي تركها لها زوجها سترث مبلغا طائلا من المال من عمة تحبها كثيرا .

- حسنا . سوف تكون مسز كليج بمأمن من الخطر لفترة من الوقت .

- أوه يا مستر بوارو ، هل تظن أن هناك شيئا حقا ؟

- هذا ما أحاول اكتشافه .. هل التقيت بشخص يدعى مستر كول هناك في المعبد ؟

- كان هناك شخص يدعى مستر كول عندما ذهبت هناك آخر مرة ، وهو رجل مدهش . انه يرتدي " شورت " أخضر . ولا يأكل الا الكرنب . أنه رجل شديد الايمان .

- حسنا . كل شئ على ما يرام . انني اهنئك على ما قمت به من عمل يا مس كارنابي . كل شئ جاهز الآن لعيد الخريف .

* * *

٥

- مس كارنابى ... لحظة واحدة من فضلك .

أمسك مستر كول بمس كارنابى وعيناه متألقتان محمومتان وقال :

- اننى رأيت رؤيا ... رؤيا عجيبة .

تنهدت مس كارنابى . كانت تخشى مستر كول ورؤاياه شيئا ما . كانت هناك أوقات يخيل لها فيها أن مستر كول مجنون تماما .

وكانت ترى رؤاياه مزعجة احيانا تذكرها ببعض الفقرات الفجة عن العقل الباطن في الكتاب الألمانى الذى قرأته قبل أن تأتى الى دينونشاير .

وراح مستر كول يتكلم فى اهتياج ، وقد ومضت عيناه ، واضطربت شفتاه :

- كنت أتأمل ... وأفكر فى فيض الحياة وبهجة السلام والاستقرار وعندئذ ... تصورى اننى فتحت عينى ورأيت ...

جمعت مس كارنابى شجاعتها ، وتمنت أن لا يكون قد رأى نفس الشئ الذى رآه فى المرة الأخيرة ... طقوس زواج بين اله والهة فى سومرية القديمة .

انحنى مستر كول فوقها مبهور الأنفاس ، جاحظ العينين ، وقال :

- أننى رأيت ... رأيت النبى ايليا يهبط من السماء فى عربة من نار .

أطلقت مس كارنابى تنهيدة ارتياح .... ايليا ... كان معنى هذا نجاحا كبيرا ، ولم يكن فى هذا أى مانع واستطرد مستر كول يقول :

- ورأيت مذابح بعلى تحته ... مئات من المذابح واهاب بى صوت يقول :

" أنظر وأشهد بما تراه كتابة " .

وأمسك عن الكلام ، وتمتمت مس كارنابى تقول فى لهجة مهذبة .

- نعم ؟

- وكانت ضحايا القربان مربوطة على المذابح لا تستطيع شيئا فى انتظار الخناجر .

كانت عذارى ... مئات من العذارى ... جميلات وفى مقتبل العمر وكلهن عرايا .

ولعق شفتيه الواحدة بعد الأخرى ، فاصطبغ وجه مس كارنابى احمرارا .

- وعندئذ جاءت الغربان من الشمال ، والتقت بالغربان القادمة من الجنوب ، وحلقت جميعها فى السماء ، ثم هبطت مرة واحدة ، وفقأت عيون الضحايا ، وارتفع البكاء وهدير الأسنان وقارعى الصوت " تأمل القرابين ، فاليوم يختم أودين ويهوذا اتحادهما بالدم " . وعندئذ هجم الكهنة على الضحايا ، شاهرين خناجرهم وشوهوها .

استمدت مس كارنابى من اليأس قوة ، وولت هاربة من جلادها ، الذى بدأ لعابه يسيل لفرط افتتانه .

واصطدمت فى طريقها بلبسكومب ، وهو الرجل الذى يحرس الباب المؤدى الى جرين هيلز ، وكان يمر صدفة فى هذه اللحظة . وقالت له :

- ألم تعثر على بروش وقع منى فى الحديقة ؟

وكان لبسكومب يبدو محصنا ضد الهدوء العام الذى يسود جرين هيلز ، فاكتفى بأن قال انه لم ير أى بروش وأنه غير مكلف بالعثور على الحلى الضائعة ، وحاول أن يتخلص من مس كارنابى ، ولكنها رافقته رغما عنه ، وهى لا تزال تحدثه عن البروش المفقود ، حتى أصبح بينها وبين مستر كول مسافة معقولة .

وفى هذه اللحظة خرج الراعى الأكبر نفسه من الحظيرة المقدسة ، وتشجعت مس كارنابى حين رأت الابتسامة الرقيقة التى ارتسمت على وجهه ، وسألته ان كان يعتقد أن مستر كول فى حالة ... فى حالة ...

وألقى " المعلم " يده على كتفها وقال :

- يجب أن نتخلص من الخوف . ان الحب الحقيقى لا يعرف الخوف .

- ولكننى اعتقد أن مستر كول مجنون حقا ... هذه الرؤى التى ...

قال " المعلم " .

- أن رؤياه مازالت بعيدة عن الكمال فهو يراها من خلال طبيعته الشهوانية . ولكن سيأتى اليوم الذى تتغلب عليه الروحانية ...

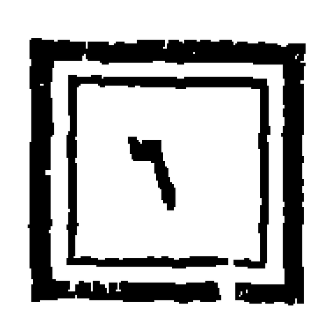
كانت مس كارنابى فى شدة الارتباك ... أن مستر كول من هذه الناحية طبعا ... ولكنها عادت الى الهجوم لا شئ الا مجرد الاحتجاج .

- ثم لماذا يشعر لبسكومب بحاجته الى أن يكون فظا دائما ؟ ومرة أخرى ابتسم "المعلم" . ابتسامته الملائكية وقال :

- أن لبسكومب حارس أمين ... وهو فظ بطبعه ولكنه أمين ... أمين الى أبعد الحدود .

وابتعد فى خطوات كبيرة ، ورأته مس كارنابى يلتقى بمستر كول ، ويقف معه ، ويضع يده على كتفه . وتمنت أن يكون " المعلم " . من السيطرة والنفوذ بحيث يغير مستر كول رؤاياه فى المستقبل .

ومهما يكن من امر فلم يكن باقيا على عيد الخريف غير أسبوع واحد .



التقى هركيول بوارو فى اليوم السابق للعيد بمس كارنابى فى مشرب شاى بمدينة نيوتن ودوبيرى ، وكانت مس كارنابى مضطربة اللون ومبهورة الأنفاس كعادتها ، وراحت تحتسى الشاى فى جرعات صغيرة .

والقى بوارو عليها بضعة أسئلة ردت عليها بكلمات متقطعة ، وسألها أخيرا :

- كم عضوا سيحضر هذا العيد .

- نحو مائة وعشرين . وستكون ايملين من بينهم طبعا ، وكذلك مستر كول . ان هذا الرجل أصبح غريب الأطوار حقا منذ بضعة أيام . فهو يرى رؤى عجيبة ، وقد وصف لى عددا منها بطريقة خاصة . وأرجو أرجو من سويداء قلبى أن لا يكون

مجنونا .. وسيكون هناك بعض الأعضاء الجدد نحو عشرين .

- حسنا . انك تعرفين طبعا ما يجب عليك عمله ؟

سادت لحظة صمت قبل أن تتكلم مس كارنابى ، وعندما تكلمت قالت بصوت غريب :

- أعرف كل ما قلت لى يا مستر بوارو .

ثم أردفت تقول بصوت مرتفع واضح :

- ولكننى لن أفعل شيئا منه .

حدق بوارو فيها مذهولا . ونهضت مس كارنابى فى وقار ، وراحت تتكلم فى سرعة وانفعال :

- انك أرسلتنى هنا لكى أتجسس على الدكتور اندرسن . كنت تشتبه فى أمره ، وتظن به كل الظنون . ولكنه رجل مدهش.. معلم كبير ، وأنى أؤمن به من سويداء قلبى ، وعليك أن تلجأ الى شخص آخر غيرى لكى يتجسس عليه يا مستر بوارو .. أنا واحدة من رعاياه .. وللمعلم رسالة جديدة للعالم ، وأنا منذ الآن ملك له قلبا وقالبا ، وسأدفع أنا ثمن مشروبى .

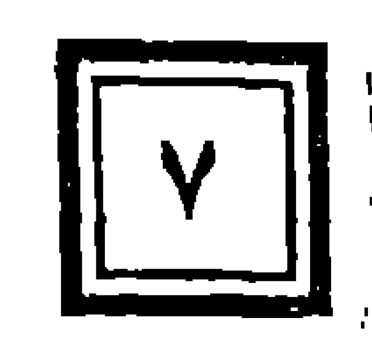
وألقت شلنا فوق المنضدة وغادرت مشرب الشاى مسرعة ، وهتف بوارو :

- يا الهى .. !

واضطرت الجرسونة أن تخاطبه مرتين لكى يدرك أنها تقدم اليه فاتورة الحساب . والتقت عيناه بعينى رجل عابس الأسارير ، يجلس أمام المنضدة المجاورة ، فاصطبغ وجهه ، ودفع حسابه ثم نهض وانصرف .

وراح ذهنه يعمل فى غير هوادة .

* * *



ومرة أخرى اجتمع الرعايا فى الحظيرة الكبيرة . وأعيدت الأسئلة والأجوبة العادية ثم :

- هل أنتم مستعدون للقداس ؟

- نحن مستعدون .

- احجبوا عيونكم وابسطوا أذرعتكم اليمنى .

ومر الراعى الأكبر ، جليلا فى ثوبه الأخضر بين الصفوف الهائجة ، وأطلق مستر كول ، صاحب الرؤى العجيبة وآكل الكرنب تنهيدة ألم ونشوة حين انغرزت الحقنة فى لحمه .

وانتقل الراعى الأكبر الى مس كارنابى وأمسك بذراعها .

- كلا ، لا تفعل هذا .

كانت كلمات غريبة لم يسبق لها مثيل ، وارتفع الضجيج وعم الهرج والمرج ، وكشف الأعضاء عن أعينهم ليروا مشهدا عجبا . كان الراعى الأكبر يقاوم ويحاول التخلص من قبضة مستر كول القوية ، وكان " أحد المؤمنين " . يساعد مستر كول .

وقال مستر كول المزعوم بصوت سريع يدل على تعوده على ذلك :

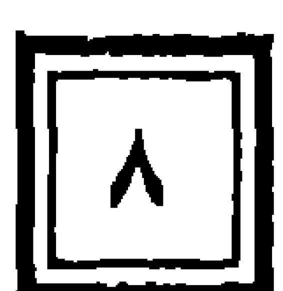
- ولدى أمر بالقبض عليك ، وأخطرك من الآن بأن كل ما تنطق به قد يتخذ قرينة ضدك .

وظهر بباب الحظيرة الكبرى أشخاص آخرون .. يرتدون ثيابا رسمية ، وصاح بعض الأعضاء عندئذ :

- البوليس .. انهم يأخذون " المعلم " .

وساد الاضطراب بين الجميع .. وعم الفزع والذعر .. كان الراعى الأكبر فى نظرهم شهيدا ، ضحية مثله فى ذلك مثل كبار المفكرين الذين يضطهدهم العالم الجاهل .

وفى أثناء ذلك كان المفتش كول يلف " الحقنة " . التى أفلتت من بين أصابع الراعى الأكبر فى عناية كبيرة .



- زميلتى الشجاعة !

وضغط بوارو على يد مس كارنابى فى حماس ، وقدمها للمفتش جاب . وقال هذا الأخير :

- انك أقدمت على عمل جليل يا آنسة . من المؤكد اننا لولاك ما استطعنا أن نفعل شيئا .

قالت مس كارنابى وهى تتلعثم لفرط الانفعال :

- يا الهى ! .. أنت رجل كريم وظريف . ولكن الواقع اننى وجدت متعة كبيرة فى هذا العمل .. وقد تقمصت شخصيتى بحيث أحسست اننى أصبحت حقا واحدة من المؤمنات .

قال جاب :

- هذا هو سبب نجاحك ، والا لما استطعنا أن نظفر به فهو مجرم أريب .

تحولت مس كارنابى الى بوارو وقالت :

- مرت بى لحظة بغيضة فى مشرب الشاى . لم أدر ماذا أفعل . اضطررت أن أترك نفسى لوحى الساعة .

قال بوارو فى حرارة :

- انك كنت رائعة ، ظننت لحظة ان واحد منا قد أصابه مس من الجنون . ظننت لحظة قصيرة انك لا تهزلين فى قولك .

قالت مس كارنابى :

- انني أصبت بصدمة شديدة ، فما أن فرغنا من حديثنا حتى رأيت في المرآة ليبسكومب حارس الباب العمومي جالسا أمام المنضدة التي بجوارنا ، ولا أدرى اذا كان جلوسه قد جاء صدفة واتفاقا أم أنه تبعني عامدا ولكن كما قلت لك تركت نفسى لوحي الساعة ، واعتقدت انك ستفهم .

ابتسم بوارو وقال :

- لم ألبث أن فهمت طبعا ، فلم يكن بجوارنا غير شخص واحد ، ولم يكن هناك أي شك في أنه استمع الى حديثنا .وقد تصرفت لكي يتبعه أحد عند خروجه وعندما عرفت أنه عاد رأسا الى المعبد أدركت انني أستطيع أن أعتمد وأركن اليك ، وانك لن تتخلى عني . ولكنني كنت شديد القلق ، لأن ذلك كان يضاعف الأخطار التي تتعرضين لها .

- هل .. هل كان هناك خطر حقا ؟ ... ماذا كان في تلك الحقنة ؟

قال جاب :

- هل تقول لها أنت أم أقول أنا ؟

قال بوارو في خطورة :

- لقد وضع الدكتور اندرسن خطة محكمة للاحتيال والقتل .. القتل العلمي .. قضى أكبر جزء من حياته في الأبحاث البكتريولوجية ، وكان يمتلك ، تحت اسم مستعار ، معملا في شيفيلد ، كان يعد فيه زراعة الميكروبات . وكان من عادته أثناء الأعياد أن يحقن " رعاياه " . بجرعة من الحشيش ، وهو مخدر من خصائصه الايحاء بأوهام العظمة ، ويتسبب في نوع من البهجة . وبهذه الطريقة كان يستميل " رعاياه " اليه .

قالت مس كارنابي :

- هذه حيلة بارعة .. بارعة جدا .

أومأ بوارو برأسه وقال :

- تلك هى تجارته العادية . شخصية مؤثرة ، واحتمال خلق هستيرية جماعية ، وردود الفعل التى يحدثها المخدر . ولكن كان له هدف آخر .

" نساء وحيدات توصى فى سورة حماسهن وشكرانهن بكل أموالهن للجمعية . وهذه النساء تموت واحدة أثر الأخرى .. كن يمتن فى بيوتهن ميتة طبيعية كما يبدو . ولا أريد ازعاجك بالتفاصيل الفنية ، ويكفى أن أشرح لك طريقته . من الممكن زراعة ميكروبات معينة وحقن الجسم بها وتدميره ، ومنها ميكروبات خاصة لاثارة قرحة المعدة ، وأخرى للتيفوئيد ، وغيرها للسل . وهذه الأخيرة اذا حقن بها جسم سليم لا تؤثر فيه ولا تضره . ولكن اذا حقن بها جسم سبق أن مرض بهذا الداء وشفى لا يلبث أن ينتكس ثانية ويموت صاحبه . هل تدركين الان مدى فطنة هذا الرجل ؟ كانت هذه الوفيات تقع فى أماكن مختلفة ، تحت بصر الأطباء المختلفين ، دون اثارة شبهاتهم . وأعتقد كذلك أنه زرع مادة من شأنها تأخير مفعول الميكروب المختار مع تقويته .

قال المفتش جاب :

- انه شيطان داهية .

واستطرد بوارو :

- وقد اتبعت انت تعليماتى ، فقلت له انك كنت مصدورة ، وعندما أوقفه كولى كانت الحقنة تحتوى على ميكروب السل ، وما كان ذلك ليضرك أى ضرر ، ولهذا حرصت على أن تقولى له انك كنت مصدورة فقد خشيت أن يستخدم ميكروبا آخر . ولكننى احترمت شجاعتك واضطررت الى أن اتركك تتعرضين لهذه المخاطرة .

قالت مس كارنابى فى مرح :

- أوه .. ان المخاطر لا تخفينى .. اننى لا أخاف من شئ فى العالم الا من الثيران الطليقة فى المزارع . ولكن هل لديك ما يكفى من الأدلة لادانة هذا المجرم الخطير ؟

ابتسم جاب ابتسامة شيطانية وقال :

- لدى من القرائن أكثر مما احتاج اليه . اننا صادرنا معمله وزراعاته الميكروبية وكل المعدات الأخرى .

قال بوارو :- من رأيى انه سبق أن أرتكب جرائم كثيرة قبل ذلك ، واذا كان قد طرد من احدى الجامعات الألمانية فلم يكن ذلك لأن أمه كانت يهودية ، انما كان يزعم ذلك ليبرر مجيئه الى هذا البلد ، ولكى يتعاطف معه الناس . والواقع أننى أعتقد أنه من أصل آرى عريق .

تنهدت مس كارنابى فسألها بوارو :

- ما الخبر ؟

أجابت مس كارنابى :

- كنت أفكر فى الحلم الرائع الذى رأيته يوم العيد الأول .. ولا ريب ان ذلك كان مبعثه الحشيش .. اننى نظمت العالم تنظيما تاما محكما . لا حروب ولا فقر ولا مرض ولا دمامة ..

قال جاب فى حسد :

- لاريب انه كان حلما جميلا جدا .

نهضت مس كارنابى فجأة وقالت :

- يجب أن أنصرف فان اميلى شديدة القلق . وهذا العجوز أوجست . يبدو أنه افتقدنى هو الآخر كثيرا .

تنهد بوارو وقال :

- لعله يخشى أن تموتى أنت الأخرى فى سبيل هركيول بوارو .

***

حق الالتجاء

اجتازت زوجة القس الحديقة فى طريقها الى الكنيسة ويداها محملتان بزهور الأقحوان ، وقد تلوث حذاؤها بالطين ، وعلق الغبار بأنفها دون أن تشعر .

ووجدت صعوبة فى فتح الباب الحديدى الذى علاه الصداء . والذى كاد يخرج من مجراه . وأفلتت منها بعض الزهور فوقعت على الأرض ، فانحنت لالتقاطها ، وهى تطلق سبة لم تكن لتليق بالمكان . وهبت نسمة من الريح فى هذه اللحظة ، فطوحت بقبعتها الى الخلف قليلا وكادت تقع لولا أن رفعت يديها المحملتين بالزهور وثبتتها مكانها . وهى تطلق سبة أخرى ، وكان لابد أن تقع منها بعض الزهور ثانية !

كان أبواها متفائلين جدا حين سمياها باسم ديانا ، ولكنها لم يلبثا أن أطلقا عليها بعد ذلك ، وهى جد صغيرة ولأسباب ظاهرة اسم " بانسن " أى " المنفوخة " . وعلق بها الاسم الى الأبد .

واجتازت حديقة البيت بعد أن جمعت زهورها للمرة الثانية ، ودخلت الكنيسة وهى تقول لنفسها : " من الأوفق أن أسرع اذا كنت لا أريد أن أموت من البرد " .

وبسرعة اكتسبتها من العادة جمعت الأصص ، وملأتها بالماء ، وهى تحدث نفسها قائلة : وددت لو أن أزرع بعض زهور اللبلاس ، فقد سئمت زهور الأقحوان هذه .

وراحت تنسق باقاتها بأصابعها الرقيقة ، ولم تكن الباقات على شئ من الفن أو الذوق ، لأنها هى نفسها تفتقر الى هاتين الصفتين ، وعندما فرغت من ذلك حملت الأصص فى حرص ، ومضت نحو المذبح .

وفى نفس اللحظة ظهرت الشمس . سطعت من ناحية الشرق ، وتسللت خلال

الألواح الزجاجية الملونة باللونين الأحمر والأزرق ، وهى ألواح زجاجية ثمينة أهداها للكنيسه أحد الأثرياء فى عهد الملكة فكتوريا . وانعكست أشعة الشمس على الألواح المذكورة ، فكان لها تأثير سحرى رائع ، بدأ كأنه مجموعة من المجوهرات تلقى ببريقها فتخلب الأبصار ، وفجأة تسمرت بانسن وراحت تحدق فى نقطة أمامها .

كان على درجات الخورس خلقة داكنة .

تخلصت بانسن من زهورها فى حرص ، ودنت من الخلقة وانحنت . ومرت بها لحظة وجيزة حسبت أنها أمام معطف أو مجموعة من الثياب ، ولكنها لم تلبث أن تحققت من أن احساسها الأول لم يخدعها .

فقد كانت الخلقة عبارة عن رجل تكور حول نفسه .

وجثت بانسن فوق الرجل ، وقبلته فى حرص . كان قد خطر لها فى بادئ الأمر أنه ميت ، ولكنها لم تلبث أن أدركت أنه حى . وجست نبضة فاذا به ضعيف وغير عادى ، ولم يكن هناك أى شك فى أنه كان يحتضر .

كان فى نحو الخامسة والأربعين من عمره ، يرتدى بذلة غامقة بالية . وألقت باليد الرخوة التى كانت ممسكة بها ، ونظرت الى اليد الأخرى . كان الرجل يضغط بها على صدره ، وأصابعه تضغط على منديل كبير ، وقد تجمع حول الأصابع سائل أسمر ، أدركت بانسن أنه دم متجمد ، فجلست على عقبيها مقطبة الجبين ، وراحت تفكر فى بطء كعادتها فيما يجب أن تفعل .

وكان الرجل مغمض العينين حتى هذه اللحظة ، ولكنه فتحهما عندئذ فجأة وحدق بهما فى وجه بانسن ، ولم تكن النظرة التى ارتسمت فيهما شاردة ولا مبهمة ، ولكنها كانت نظرة يقظة ذكية . وتحركت شفتاه ، وانحنت بانسن لكى تسمع الكلمات ، أو بالأحرى الكلمة لأنه لم ينطق بغيرها وهى : الالتجاء .

وخيل لبانسن أنه يبتسم ابتسامة غامضة ، وهو ينطق بهذه الكلمة ، ولم يكن

هناك أي خطأ ، لأنه نطق بها ثانية وقال : الالتجاء .

ثم أطبق عينيه وهو يتنهد ، وجست بانسن نبضه مرة أخرى . وكان أكثر ضعفا عن ذى قبل . ونهضت وقد استقر منها العزم وقالت :

- لا تتحرك . سأبحث عن نجدة .

فتح الرجل عينيه مرة أخرى ، ولكن بدا الآن كأنه ينظر الى النور الملون الذى ينبعث من النافذة الشرقية ، وهمس بشئ لم تسمعه بانسن جيدا . ودهشت وخطر لها أنهما ربما سمعت اسم زوجها ، فقالت :

- جوليان ؟ هل أتيت لكى ترى جوليان ؟

ولكنها لم تتلق ردا ، فقد أطبق الرجل عينيه وراح يتنفس فى صعوبة .

واستدارت بانسن ، وأسرعت بمغادرة الكنيسة ، ونظرت الى ساعتها ، ثم هزت رأسها فى ارتياح . كان الدكتور جريفيث لا يزال فى عيادته ، ولم يكن بينها وبينه غير بضع دقائق . ودخلت على الدكتور دون أن تفكر فى طرق الباب ، وقالت لاهثة :

- يجب أن تأتى معى الان حالا .. هناك رجل يحتضر فى الكنيسة .

وبعد بضع دقائق اعتدل الدكتور جريفيث بعد فحص وجيز وقال : هل يمكن حمله داخل البيت ؟ ... سيتسنى لى أن أفحصه بطريقة أفضل ، وأن كنت لا أرى فائدة من ذلك .

قالت بانسن : - طبعا . سأذهب لاعداد ما يلزم وسأستدعى هاربر جونز لنقله .

- شكرا . وسأستطيع أن أتصل بالتليفون من البيت لكى أطلب عربة اسعاف ، ولكننى أخشى أن تأتى بعد أن ..

قالت بانسن : - أنزيف داخلى ؟

أومأ الطبيب برأسه وقال : كيف أتى هنا بحق الشيطان ؟

وبعد خمس دقائق أعاد الطبيب السماعة ، ثم عاد الى الغرفة التى نقل اليها

الجريح فوق بضعة أغطية وضعت على عجل فوق أريكة . وكانت بانسن قد جاءت بإناء فيه ماء .

وقال جريفيث : - اننى طلبت عربة اسعاف ، وأخطرت قسم البوليس .

كان واقفا مقطب الجبين ، وهو ينظر الى الجريح الذى أغمض عينيه ، وراح يضرب بيده اليسرى فى حركات عصبية وتشنجية جنبه الأيسر .

واستطرد جريفيث يقول : - انهم أطلقوا الرصاص عليه عن كثب ، وكور منديله وضغط به على الجرح فى محاولة لايقاف النزيف .

سألته بانسن : - هل أمكنه أن يذهب بعيدا بعد اصابته ؟

أوه ، نعم . هذا جائز جدا . فقد سبق أن رأينا رجلا مصابا اصابة قاتلة يتمالك نفسه ، ويجرى شارعا طويلا ، كأن شيئا لم يحدث له ، ثم ينهار فجأة بعد خمس أو ست دقائق . ومعنى ذلك أن صاحبنا لم يصب فى الكنيسة طبعا . أوه ، كلا ، انهم اطلقوا عليه النار فى مكان آخر . ومن الممكن طبعا أن يكون قد أطلق رصاصة على نفسه ، وأفلت المسدس منه ، ثم راح يترنح على غير هدى حتى جاء الى الكنيسة ، ولا أدرى لماذا ذهب اليها ، ولم يأت الى البيت .

قالت بانسن : - أوه ، اننى أعرف لماذا .. انه تكلم عن الالتجاء .

نظر الدكتور اليها فى حدة وقال : الالتجاء ؟

قالت بانسن وهى تسمع وقع أقدام زوجها عند الباب : ها هو جوليان .

دخل المحترم جوليان الغرفة ، ونظر الى الطبيب والى الجثة فوق الأريكة فى استغراب ، وسألته بانسن قائلة :

- هل تعرفه يا جوليان ؟ .. حسبت اننى سمعته ينطق باسمك .

نظر القس الى المصاب ، وقال وهو يهز رأسه : يا للرجل المسكين ! ... كلا اننى لا أعرفه أكاد أكون واثقا من اننى لم أره من قبل .

وفى هذه اللحظة فتح المصاب عينيه من جديد . وانقلنا من الطبيب الى القس ثم الى بانسن ، وتوقفت عند هذه الأخيرة . وتقدم الطبيب عندئذ واستحثه قائلا :

- اذا استطعت أن تقول لنا ..

ولكن الرجل قال فى صوت واحد وهو يحدق فى بانسن : أرجوك .. أرجوك .

ثم سرت فى بدنه رعشة خفيفة ولفظ روحه .

***

امتص الرقيب أصبعه ، وقلب صفحة من دفتره وقال : أهذا كل ما تستطيعين الادلاء به يامسز هارمون ؟

أجابت بانسن : - نعم . وها هى الأشياء التى كانت فى جيوبه .

وكانت هناك ، فوق المنضدة ، محفظة وساعة قديمة محفور عليها حرفان : و . س. وتذكرة عودة بالسكة الحديد الى لندن .

وسألته بانسن : - هل عرفت من هو ؟

- تكلم مستر ابلكس وزوجته فى التليفون ، ويبدو أنه أخو الزوجة ، وان اسمه ساندبورن . وكان مريضاً ويشكو من أعصابه منذ مدة ، وقد فهمت أنه أصيب بانهيار أخيرا ، وأنه عاد من الخارج . وقد تفاقمت حالته فى الأيام الأخيرة ، وخرج أول أمس ولم يعد . وأخذ معه مسدسه .

وقالت بانسن : - وأقبل هنا لكى ينتحر ؟ .. لماذا ؟

- حسنا . انه كان مكتئبا كما تعرفين .

- لم أقصد هذا .. انما عنيت لماذا جاء ينتحر هنا .

ولما كان الرقيب لا يعلم لماذا ، فقد تهرب من الرد قائلا : - لا أدرى يا مسز هارمون ، لا يمكن أن نعرف أبدا ماذا يدور فى ذهن رجل مختل العقل .

- كان فى مقدوره أن ينتحر فى أى مكان ، ولم يكن بحاجة لكى يستقل الأتوبيس

لكى يأتى الى هذه القرية لكى ينتحر بالذات . انه لا يعرف أحدا هنا أليس كذلك .

أجاب الرقيب : - كلا .. بقدر ما أعلم .

وسعل فى ارتباك ظاهر ، وقال وهو ينهض : - يحتمل أن يأتى مستر ايلكس وزوجته لرؤيتك يا سيدتى .. بعد اذنك طبعا .

- طبعا .. كنت أود لو أستطيع أن أقول لهما شيئا .

قال الرقيب : - سنأنصرف الان .

وقالت بانسن وهى تشيعه حتى الباب : - أشعر براحة كبيرة حقا لأننا لسنا ازاء جريمة قتل .

وقفت عربة أمام باب البيت فى هذه اللحظة ، ونظر الرقيب اليها ثم قال :

- يبدو أن مستر ايلكس قد أقبل هو وزوجته .

توترت بانسن لكى تتحمل ما تعتقد أنه محنة ، وقالت تحدث نفسها أنها تستطيع على كل حال أن تدعو جوليان لكى يخف لمساعدتها .

كان مستر ايلكس رجلا ضخم الجثة ، أحمر الوجه ، تعلو وجهه ابتسامة دائمة .

أما مسز ايلكس فكانت جذابة نوعا ما ، تتهدل فوق جبينها خصلة من الشعر وقالت بصوت حاد :

- كانت صدمة عنيفة لنا يا مسز هارمون كما لا شك تعلمين .

قالت بانسن : - أوه ، نعم ، تفضلا بالجلوس . هل أستطيع أن أقدم لكما شيئا .. أخشى أن الوقت لا يزال مبكرا للشاى .

أبدى مستر ايلكس اشارة بيده المكتنزة وقال : - كلا ، كلا ، لا نريد شيئا . انها لمكرمة كبيرة منك . انما أردنا .. حسنا .. أردنا أن نعرف ماذا قال هذا المسكين ويليام نريد أن نعرف التفاصيل .

وقالت مسز ايلكس : - أنه قضى مدة طويلة فى الخارج ، وأعتقد أنه لقى بعض

المتاعب . لقد كان صموتا ومكتئبا منذ عودته ، وكان يقول أن الدنيا لا تستحق أى اهتمام ، وأنه ليس فيها الا كل شر .. مسكين بيل .. كان مكتئبا دائما .

نظرت بانسن اليهما لحظة دون أن تنطق ، واستطردت مسز ايلكس : - وقد أخذ مسدس زوجى دون أن ندرى .. ويبدو أنه جاء هنا بالأتوبيس ، ولا أظن أن هذا كان عملا طيبا منه .. لم يشأ ان ينتحر فى بيتنا .

وقال مستر ايلكس وهو يتنهد : - يا للمسكين !..لم يكن فى مقدورنا أن نعلم ..

وساد صمت قصير للمرة الثانية ، ثم عاد مستر ايلكس يقول : - هل عهد اليك بأية رسالة ؟ .. أعنى هل نطق ببعض الكلمات أو بأى شئ ؟

ونظر الى بانسن متفحصا بعينيه البراقتين اللتين تشبهان عينى الخنزير ، وانحنت مسز ايلكس هى الأخرى نحوها وهى بادية الاهتمام ، فقالت بانسن فى هدوء :

- كلا ، انه دخل الكنيسة عندما أوشك على الموت ينشد الالتجاء .

قالت مسز ايلكس فى صوت تشوبه الحيرة : - الالتجاء اننى لا أفهم ..

وقاطعها مستر ايلكس بقوله : - ان الكنيسة مكان مقدس يا عزيزتى . وهذا ما تعنيه زوجة القس . أظن أنه كان يريد الاعتراف .

قالت بانسن : - انه أراد أن يقول شيئا قبل أن يموت .. قال : أرجوك ، ولكنه لم يزد .

جففت مسز ايلكس عينيها بمنديلها ، ثم انتحبت قائلة : - يا الهى ! .. أنه لأمر مؤثر ، أليس كذلك ؟

وقال زوجها : - تمالكى روعك يابام . اننا لا نستطيع شيئا . مسكين ويلى . ولكنه يرقد فى سلام الآن ، حسنا . شكرا لك يا مسز هارمون .. أرجو أن لا نكون سببنا لك أى ازعاج .

وشد على يدها . ولكن ايلكس استدار فجأة وقال : - أوه .. نعم ، هناك شئ آخر

أظن أن سترته لديك ، أليس كذلك ؟

قطبت بانسن حاجبيها وقالت : - سترته !

وقالت مسز ايلكس : - اننا نريد أشياءه .. للذكرى .

قالت بانسن : - كانت معه ساعة ومحفظة وتذكرة عودة بالسكة الحديد ، وقد أعطيت كل ذلك للرقيب هايز .

قالت مسز ايلكس : - حسنا . لا ريب أنه سيردها الينا ولا ريب أن أوراقه الخاصة موجودة بالمحفظة .

قالت بانسن : - كان بها ورقة من فئة الجنية ولا شئ آخر ..

- ألم تكن هناك رسائل ؟ .. أو أى شئ من هذا القبيل ؟

هزت بانسن رأسها وقالت : - حسنا هارمون . أظن أن السترة التى كان يلبسها موجودة هى الأخرى فى قسم البوليس .. لعلها مع الرقيب هايز .

قطبت بانسن حاجبيها وهى تبذل جهدها لكى تتذكر ثم أجابت : - كلا ، كلا . لا أظن ذلك .. دعنى أفكر .. لقد نضا عنه الدكتور سترته لكى يفحص جرحه .

ونظرت حولها فى غموض وقالت : - لا ريب أننى أخذتها فوق مع اناء الماء والمناشف .

- اننى أتساءل الآن يا مسز هارمون اذا كان هذا لا يزعجك .. اننا نود لو أن نحتفظ بسترته ، ولا شك أنك تفهمين ، فهى آخر شئ كان يلبسه . وان زوجتى تعلق عليها أهمية عاطفية كبيرة .

قالت بانسن : - طبعا .. هل تحب أن أنظفها قبل ذلك ، فأننى أخشى .. أن تكون .. ملوثة جدا .

- أوه ، كلا .. لا أهمية لهذا .

- اننى أتساءل أين .. أرجو المعذرة لحظة .

وصعدت بانسن الى الطابق العلوى ، ولم تعد الا بعد بضع دقائق . وقالت مبهورة الأنفاس :

- أنني آسفة ، نقد وضعتها الخادمة مع بعض الثياب للارسال الى المصبغة ، وقد لقيت مشقة حتى عثرت عليها . ها هى .. سألفها لك .

ولفتها غير عابئة باحتجاج المرأة . ثم انصرف الزوجان وهما يودعانها بحرارة .

واجتازت بانسن المدخل فى بطء ودخلت المكتب ، ورفع القس جوليان رأسه ، وانبسطت أساريره ، كان يعد خطبة الأحد ، وكان يخشى أن يكون قد أبتعد عن الموضوع وقال فى أمل كبير :

- نعم يا عزيزتى ؟

سألته بانسن : جوليان .. ؟ ما هو حق الالتجاء بالضبط .. ؟

نحى جوليان الأوراق التى كان منكبا عليها فى سرور وقال : كان حق الالتجاء يطبق فى المعابد اليونانية والرومانية ، فى المكان الذى يوجد فيه تمثال الرب ، وكلمة المذبح باللاتينية معناها فى الوقت نفسه الحماية والأمان ..

ومنذ الأوقات الأولى انتفع المجرمون واللاجئون بحق الالتجاء . وأظنك تذكرين أنه جاء بالكتاب المقدس أن " جواب " . احتمى بالمحراب . وقد جاء ذكر حق الالتجاء لأول مرة فى انجلترا فى سنة ٦٠٠ فى مجموعة القوانين التى وضعها اتلبيرت .

وبدا محيرا ككل مرة ازاء الطريقة التى تقابل بها زوجته الردعلى اسئلتهافقد قالت له : أنك نابغة أيها الحبيب .

وانحنت فى رقةوطبعت قبلة خفيفة على أرنبة أنفه ثم قالت : - جاء آل الكس اليوم .

قطب حاجبيه وقال : - آل الكس .. ؟ هل أعرفهم ؟

قالت : - كلا . هى أخت الرجل الذى مات فى الكنيسة وزوجها .

– كان يجب أن تناديني يا عزيزتي .

قالت بانسن : – لم يكن هناك داع لذلك . لم تكن بهما حاجة الى العزاء أو السلوى وأنني لأتساءل :

– وقطبت حاجبيها واستطردت : – هل تستطيع أن تدبر أمرك غدا اذا وضعت لك طبقا من الطعام يطهى فى الفرن .. ؟ اننى أنوى أن أذهب الى لندن فان محلات بورروز وبورتمان تعلن عن تصفية ما لديها من بواقى .

وأردفت فى تفكير : – ثم اننى أظن أنه يجب أن أذهب لرؤية العمة جين .

***

انتهزت مس جين ماربل ، تلك المرأة الظريفة المسنة الفرصة للاستمتاع بمباهج الدنيا وملذاتها لمدة خمسة عشر يوما فى المسكن المريح الذى تركه لها ابن اختها .

وتمتمت تقول : – كان هذا العزيز رايموند ظريفا حقا ، فقد سافر هو وجوان الى أمريكا وأصرا معا على أن انتقل للاقامة هنا ، وأن انتهز الفرصة لكى أرفه عن نفسى قليلا ، فان قدومى الى لندن نادرة جدا . ولكن قولى لى ما الذى يزعجك يا عزيزتى بانسن ؟

كانت بانسن ابنة مس ماربل فى العماد ، وراحت المرأة المسنة تنظر اليها فى ود . وازاحت بانسن قبعتها عن رأسها قليلا ، ثم سردت قصتها .

كانت قصة موجزة وواضحة ، واختتمتها قائلة : ولهذا خطر لى أن أراك ، وأن أستطلع رأيك ، فلا أدرى ماذا أفعل حقا ، ولا أستطيع أن أطلب من جوليان .. آه ، حسنا ، أعنى أن جوليان لا يرى الشر ..

ويبدو أن هذه النقطة كانت مفهومة من مس ماربل تماما ، لأنها قالت

– أننى أفهم ما تعنين يا عزيزتى .. فان الأمر يختلف معنا نحن معشر النساء ..

واستطردت تقول : – انك ذكرت لى ما حدث يا بانسن ، غير أنى أود أن أعرف

رأيك أولا .

قالت بانسن : - ان هذا لا يتطابق ، فان الرجل الذى جاء يحتضر فى الكنيسة ، كان يعرف كل شئ عن حق الالتجاء ، وقد تحدث عنه كما تحدث جوليان تماما .. أعنى .. أنه أعطانى انطباعا بأنه رجل مهذب ، على جانب كبير من الثقافة ، واذا كان قد انتحر فانه ما كان ليأتى بعد ذلك الى الكنيسة فى طلب حق الالتجاء . ومعنى حق الالتجاء أن هناك من يطارده ، وأنه بدخوله الكنيسة أصبح فى حمى وأمان ، ولم يعد بمقدور مطارديه لمسه . وقد جاء وقت لم يكن القانون نفسه ليستطيع شيئا ضد حق الالتجاء .

ونظرت الى مس ماربل ، فهزت هذه رأسها وعادت بانسن تقول :

- وهذان الزوجان .. أعنى اليكس وزوجته يختلفان كل الاختلاف .. فهما جاهلان، خشنان ، وثمة شئ آخر هذه الساعة .. ساعة الفقيد فان غطاءها الخارجى يحمل هذين الحرفين و . س . واسمه محفور بداخلها وهو والتر .. وقد قرأته بنفسى .. هدية لوالتر من أبيه ثم التاريخ .. وقد تكلم ايلكس وزوجته عنه أكثر من مرة ودعواه باسم ويليام وبيل .

بدا على مس ماربل أنها تريد أن تتكلم ، ولكن بانسن أسرعت تقول :

- أعرف أنهم لا يدعونك بالاسم الذى أطلقوه عليك دائما ، وأنهم يدللونك بأسماء أخرى ، ولكن أخته بالذات ما كانت لتدعوه ويليام أو بيل اذا كان اسمه والتر

- هل تعنين أنها ليست أخته ؟

- بل اننى واثقة أنها ليست أخته . لقد كانا فظيعان . انهما أقبلا الى الكنيسة يطلبان أمتعته ، ويسألان اذا كان قد قال شيئا قبل أن يموت ، وعندما قلت لهما أنه لم يقل شيئا بدا عليهما الارتياح ، وانا شخصيا أعتقد أن ايلكس هو الذى أطلق عليه

النار .

قالت مس ماربل : - جريمة قتل !

أجابت بانسن : - نعم .. جريمة قتل .. وقد أتيت لكى أراك لهذا السبب يا عزيزتى .

كان يمكن لأى شخص غريب أن يستغرب لمثل هذه الملاحظة ، ولكن مس ماربل معروفة فى بعض الدوائر باهتمامها بجرائم القتل . وقالت بانسن :

- انه قال قبل أن يموت : - أرجوك . كان يريد أن أفعل شيئا من أجله . والمزعج أنه ليست لدى أية فكرة عن ذلك .

فكرت مس ماربل لحظة ثم أشارت الى نقطة لم تفكر بانسن فيها ، فقد قالت : ولكن لماذا ذهب هناك ؟

- هل تعنين أنه كان يستطيع دخول أية كنيسة يجدها أمامه اذا كان يريد ، وأنه لم تكن له حاجة الى ركوب أتوبيس لا يسير الا أربع مرات فى اليوم لكى يأتى الى قريتنا .

قالت مس ماربل : - لاريب أنه ذهب الى القرية لغرض فى نفسه بالذات . ليس هناك أى شك فى انه ذهب اليها لكى يرى أحدا . ولكن قرية شيبنج كلجوزن ليست كبيرة . ولا ريب أن لديك فكرة عمن كان يريد أن يراه .

استعرضت بانسن فى ذهنها كل أهالى القرية ، ثم هزت رأسها وقالت : لا أرى أحدا بالذات .

- انه قال " جوليان " . أو على الأقل فهمت أنه قال ذلك . وأظن أنه أراد أن يقول جوليا .. ولكن ليس فى القرية من تدعى جوليا على ما أعرف .

وقطبت حاجبيها وهى تستعيد فى ذهنها منظر الرجل المصاب ، والضوء عبر الألواح الزجاجية ، والانعكاسات الحمراء والزرقاء ، وقالت فجأة :

- مجوهرات .. لعل هذا ما كان يعنيه ، فان الضوء الذى ينساب خلال النافذة كان يعطى احساسا بالمجوهرات ولعله قال جواهر .

قالت مس ماربل فى تفكير :- جواهر !

وقالت بانسن : - سأذكر لك الآن أهم شئ ، وهو السبب الذى أتيت من أجله . لقد أثار ايلكس وزوجته قصة لكى يأخذا سترته . وكنا قد خلعناها له عندما أراد الطبيب فحصه ، وهى سترة قديمة بالية ، ولم يكن هناك أى سبب لكى يطالبا بها .. أعنى لم يكن يبدو أنهما فقيران ، وانهما بحاجة الى هذه السترة ... وقد تذرعا بأسباب عاطفية للمطالبة بها .

.. وقد ذهبت أخيرا لكى آتيهما بها ، وفيما أنا أصعد السلم تذكرت أنه أتى بحركة ، كما لو كان يريد أن أخذ شيئا من جيبه ، وعندما أخذت السترة فحصتها فى عناية واكتشفت أن البطانة قد انتزعت فى مكان ما ثم أعيد حياكتها من جديد ، وبخيط مختلف اللون ، وبطريقة غير متقنة ، كما لو أن رجلا هو الذى خاطها . نفككتها ووجدت بداخلها ورقة صغيرة أخرجتها .. ثم أعدت خياطتها من جديد بخيط من نفس الخيط الأصلى .

.. وقد كنت حريصة جدا ، ولا أظن أن ايلكس وزوجته لحظا شيئا ما . ولكننى لست واثقة ، ثم هبطت بالسترة واعتذرت لهما عن تأخرى .

سألتها مس ماربل : - والورقة ؟

فتحت بانسن حقيبتها وقالت : - لم أذكر شيئا عنها لجوليان لأننى لو فعلت لطالبنى بأن أردها لمستر ايلكس . ولكن خطر لى أن من الأوفق أن آتيك بها .

وناولتها الورقة الصغيرة . فقالت مس ماربل : - ايصال ايداع بمحطة بادنجتون .

قالت بانسن : - كان بجيبه تذكرة عودة الى هذه المحطة .

قالت مس ماربل : - لابد لنا أن نعمل ، وأن نلتزم جانب الحرص . هل تحققت أن

أحدا لم يتعقبك عند قدومك الى لندن يا عزيزتى بانسن ؟

صاحت بانسن : - يتعقبنى .. ؟ لا أخالك تظنين .. ؟

- حسنا . هذا محتمل . وما دام الأمر كذلك فأظن أنه لابد لنا من توخى الحذر .

ونهضت فى نشاط وقالت : - انك أتيت هنا علانية لرؤية التصفية فى المتاجر . ولهذا فأننى أظن أن أفضل شئ هو أن نخرج لرؤيتها .. ولكن أظن أننى أستطيع أن أقوم بشئ قبل أن نخرج .

***

بعد نحو ساعة ونصف كانت الصديقتان محملتين بالأكياس والربط ، وقد تهدلت ثيابهما ، ونشفت شعرهما ومالت قبعتاهما الى الخلف شيئا ما . ودخلتا مطعما صغيرا معروفا باسم " مطعم التفاح " . وهما فى حالة من التعب والاعياء . وتناولت كل منهما شريحة من اللحم وفطيرة بالكريمة والتفاح .

ودخلت امرأة شابة أنيقة تصبغ شفتيها بالأحمر الفاقع ، ورددت البصر حولها فى المطعم ، ثم مضت مسرعة الى مائدتهما ، وألقت مظروفا أمام مس ماريل قائلة : ها هى يا مس ماريل .

وقالت هذه الأخيرة : - أوه ، أشكرك يا جلاديس .. أشكرك كثيرا .. .

قالت جلاديس : - يسرنى دائما أن أؤدى لك كل ما تريدين من خدمات يا مس ، فان أيرنى يقول لى دائما أن كل ما تعرفينه من خير انما تدينين به لمس ماريل ، فهى التى علمتك ومرنتك على كل شئ وأنت فى خدمتها ، ولهذا يسرنى أن أقدم لك أية خدمة يا مس .

قالت مس ماريل بعد أن انصرفت جلاديس : انها فتاة ظريفة ، وعلى استعداد لكى تقوم بأية خدمة فى أى وقت . ولكننى أود لو لم تصبغ شفتيها بهذه الصورة الصارخة .. وأظن أنها تفعل ذلك لكى تزداد ثقة بنفسها ..

وألقت داخل المظروف نظرة ثم قالت : - والآن أرجو أن تتوخى كل الحذر يا عزيزتي . وبهذه المناسبة ، أما زال المفتش كرادوك يعمل بملشستر ؟

قالت بانسن : - لا أدرى .. أظن ذلك .

وقالت مس ماربل فى تفكير : - اذا لم يكن هناك فأنني أستطيع على كل حال الاتصال بالقوميسير .. أظن أنه لا يزال يذكرنى .

قالت بانسن : - أوه ، نعم . ان الجميع يذكرونك فانك فريدة فى نوعك .

ونهضت وهى تقول : - يحسن بى أن أسرع حتى لا يفوتنى القطار.

واذبلغت محطة بادنجتون ، ذهبت الى مخزن الأمانات وناولت الموظفة تذكرتها، وبعد دقيقة أو دقيقتين أعطاها حقيبة بالية أخذتها ومضت بها الى الرصيف حيث يقف القطار الذى يجب أن تستقله .

ومرت الرحلة دون أى حادث يذكر ، وهبطت من القطار ، ومضت الى الباب العمومى وهى تمسك حقيبتها . وكانت قد بلغت الباب تقريبا عندما اندفع نحوها رجل، واختطف منها الحقيبة ، وأسرع بالفرار . وصاحت تقول :

- أمسكوه . أمسكوه .. أنه سرق حقيبتى .

ورأى الموظف الذى يجمع التذاكر من المسافرين هذا المشهد فصعق وقال : ولكن يا سيد .. ما هذا الذى .. ؟ ولم يزد فقد دفعه الرجل فى قوة ، وأسرع بالحقيبة الى الخارج . واندفع نحو سيارة واقفة ..

وألقى الحقيبة داخل السيارة ، وهم بأن يصعد هو نفسه عندما ظهرت يد لا ندرى من أين ، وأمسكته من كتفه ، وقال الكوميسير آبل :

- حسنا .. ما الخبر ؟

قال الرجل : - هذا سخيف .. لا أدرى ماذا تريد هذه السيدة .. هذه الحقيبة حقيبتى ، وقد هبطت بها من القطار .

قال القوميسير آبل : - سوف نوضح هذه المسألة .

ونظر الى بانسن نظرة محايدة رقيقة ، وما كان ليخطر لأحد فى هذه اللحظة أن آبل ومسز هارميون يقضيان أوقاتا طويلة فى الحديث عن الفلاحة وزراعة الزهور .

وقال :

- تقولين أن هذه الحقيبة ملك لك يا سيدتى .

أجابت بانسن : - نعم .. بكل تأكيد .

- وأنت يا سيد ؟

- أقول أن الحقيبة حقيبتى .

كان الرجل طويل القامة ، أسمر البشرة ، أنيق الثياب ، له صوت فاتر ، وتدل هيئته على العظمة . وارتفع من داخل السيارة صوت امرأة يقول : هى حقيبتك طبعا يا أودين لا أدرى ماذا تريد هذه المرأة .

قال القوميسير : - يجب أن نجلو هذه المسألة . اذا كانت هذه حقيبتك يا سيدتى فهل يمكنك أن تذكرى لنا ماذا بها ؟

أجابت بانسن : - طبعا .. ان بها ثيابا .. معطف موشى بياقة من الكتسور وبلوزتان وحذاء .

وتحول القوميسير الى الرجل فقال : - اننى اهتم بثياب المسرح ، وفى هذه الحقيبة معدات خاصة بحفلة مسرحية يقيمها بعض الهواة .

قال القوميسير آبل : - حسنا . سوف نلقى نظرة على ما فيها الآن . يمكننا أن نذهب الى قسم البوليس ، أو أن نعود الى المحطة ونفتح الحقيبة ، اذا كنت على عجل .

قال الرجل الأسمر : - لا بأس . وبهذه المناسبة اسمى موسى .. أدوين موسى .

أخذ القوميسير الحقيبة ، وعاد الى المحطة ، وقال للموظف الذى يجمع التذاكر :

ستذهب الى المكتب بهذه .

أجابه الموظف : - حسنا .

ألقى القوميسير بالحقيبة على المكتب ، ورفع غطاءها ، ولم تكن مغلقة بالمفتاح ، وكانت بانسن وموسى يقف كل منهما على جانب ، وقد ارتسمت على ملامحهما أمارات الغضب .

وقال آبل : - آه .. !

كانت الحقيبة تحتوى على معطف من التويد مطوى بعناية ، وله ياقة من الصوف وعلى بلوزتين وحذاء . وقال القوميسير وهو يتحول الى بانسن :

- الأمر كما ذكرت أنت تماما يا سيدتى .

وما كان باستطاعة أحد أن يزعم عندئذ أن أدوين موسى وقف عاجزا ، فقد بدا الاستياء والندم واضحين على محياه وهو يقول :

- أسألكما المعذرة حقا يا سيدتى . لا ريب أننى تركت حقيبتى فى القطار .. صدقينى يا سيدتى ، اننى جدا آسف .. هذا أمر لا يغتفر حقا من ناحيتى .

وألقى نظرة الى ساعته ثم استطرد : يجب أن أسرع الآن . ان حقيبتى ما زالت بالقطار من غير شك . وستغضب الفرقة المسرحية لأننى أضعت مهماتها .. لابد أن ألحق بالقطار فى المحطة التالية .

ورفع قبعته مرة أخرى وقال يخاطب بانسن : - أرجو أن تغفرى لى .

وأسرع بالخروج من المكتب . وقالت بانسن تخاطب القوميسير : - هل تتركه يهرب ؟

غمز هذا الأخير بعينيه وقال : - انه لن يذهب بعيدا يا سيدتى .. أعنى أنه لن يغيب عن نظرنا أبدا .

قالت بانسن فى ارتياح : - آه ..

- ان السيدة العجوز اتصلت بنا تليفونيا .. تلك التى كانت هنا منذ سنوات . انها ذكية فى الواقع ونشيطة جدا . ولكن أشياء كثيرة وقعت اليوم ، ولن أدهش اذا جاء المفتش أو الرقيب لرؤيتك فى هذا الصدد غدا صباحا .

وكان المفتش هو الذى جاء .. المفتش كرادوك الذى تكلمت عنه مس ماربل ، وكان يبدو أنه تقدم فى السن عن آخر مرة رأته فيها . وابتسم لها كما لو كان صديقا حميما وقال فى مرح :

- جريمة أخرى فى شيبنة ليجهورن .. ! ان هذه القرية تدور بها أحداث هامة ، أليس كذلك يا مسز هارمون ؟ .

قالت بانسن :- يسرنى أن أراك ..هل أتيت لاستجوابى أم .. لتخبرنى بشئ ما ؟

قال المفتش : - سأبدأ بأن أخبرك ببعض الأشياء . أولا كنا نراقب مستر ومسز ايكلس مراقبة دقيقة منذ وقت طويل ، فقد كان لدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنهما اشتركا فى سرقات كثيرة وقعت فى هذه المنطقة ، ومن ناحية أخرى ، وعلى الرغم من أن مسز ايلكس لها أخ يدعى ساندبورن عاد أخيرا من الخارج ، فان الرجل الذى رأيته يحتضر على سلم الخورس لم يكن ساندبورن .

قالت بانسن : - كنت واثقة من ذلك .. فقد كان اسمه والتر وليس ويليام .

هز المفتش رأسه وقال : - نعم . انهما أقدما على خطأ فى هذه النقطة .

- ومن كان فى الواقع ؟

- كان اسمه والتر ستيفنس ، وقد هرب من سجن تشارلجتون منذ بضعة أيام .

قالت بانسن تحدث نفسها : - طبعا .. كان البوليس يطارده ، وأراد أن يلجأ الى الكنيسة . ولكن ماذا فعل ؟

- يجب أن أعود الى الماضى البعيد . أنها قصة معقدة قليلا ، فمنذ بضع سنوات كانت هناك راقصة تقدم عروضها فى مختلف البلاد ، ولا أظنك سمعت عنها ، ولكنها

تخصصت فى الرقص الشرقى ، وكانت ترتدى ثوبا تغطيه قطع من الزجاج المصنوع ولا شئ آخر ، وكانت تطلق على رقصتها اسم " علاء الدين فى قبو المجوهرات " . وأظن أنها لم تكن راقصة ممتازة ، ولكنها كانت ذات جاذبية خاصة . ومهما يكن فقد وقع فى هواها أمير هندى غمرها بالهدايا وكان من بينها عقد ثمين من الزمرد ، ولكن صلته بها لم تدم طويلا ، وانما انتهت عندما تحول اهتمامه الى احدى كواكب السينما .

أما زبيدة ، وهو اسم راقصتنا ، فقد تمسكت بعقدها ولكنه سرق منها ذات يوم ، واختفى من غرفتها . واشتبه أولو الأمر فى أنها هى نفسها التى دبرت هذه السرقة ، وقد سبق أن حدثت مثل هذه السرقات المزعومة على سبيل الدعاية ، أو لأسباب خاصة غير شريفة ، ومهما يكن فلم يعثر أحد على العقد بعد ذلك أبدا ، ولكن فى أثناء التحقيق أثار المدعو ستيفنس اهتمام البوليس .

.. كان رجلا من عنصر طيب ، وكان مثقفا ومهذبا دارت به الأيام ، واضطر الى العمل فى محل جواهرجى غير معروف كان البوليس يشتبه فى أنه ستار لتوزيع حصيلة السرقات . وقد تمكن البوليس من التدليل على أن العقد المسروق مر بين يديه ، والواقع أنهم وجدوا هيكل العقد ، مما أثبت أنه تصرف فى حبات الزمرد نفسها .

ومع ذلك فقد ألقى القبض عليه بسبب سرقة مجوهرات أرى وأودع السجن . وكان قد شمله العفو عن المدة الباقية فى السجن لحسن سلوكه ، ولم يكن أمامه غير أيام يقضيها عندما هرب ، الأمر الذى أثار الدهشة .

سألته بانسن : - ولكن لماذا جاء هنا ؟

- هذا ما نود معرفته يا مسز هارمون ، فقد اقتفينا أثره ، ويبدو أنه ذهب الى لندن أولا ، ولكنه لم يلتق بأحد شركائه القدامى ،وانما ذهب لزيارة امرأة عجوز ... امرأة تدعى مسز جاكسون ، كانت وصيفة فى مسرح ، ولم تشأ أن تخبرنا عن سبب ذهابه اليها . ولكن قيل لنا أنه غادرها ومعه حقيبة .

قالت بانسن : - آه .. أودعها محطة بادنجتون ثم جاء هنا .

قال المفتش : - وفى تلك الأثناء كان المدعو ايلكس يتعقبه هو وادوين موسى ، رأياه يصعد الأتوبيس ، فاستقلا عربة ، ووصلا الى القرية قبله ، وانتظراه عند محطة الأتوبيس .

قالت بانسن : - وقتلاه .

أجاب كرادوك : - نعم .. ومسدس ايلكس هو الذى استخدم فى ارتكاب الجريمة ، ولكننى أميل الى الظن بأن موسى هو الذى أطلق الرصاص . والآن يا مسز هارمون نريد أن نعرف أين الحقيبة التى أودعها والتر ستيفنس بمخزن أمانات محطه بادنجتون .

ابتسمت بانسن ابتسامة كبيرة وقالت :- مع العمة جين .. أعنى مس ماربل . كانت هذه خطتها . أرسلت خادمة قديمة لها بحقيبة وضعت فيها أشياء وأودعتها محطة بادنجتون ثم تبادلنا التذكرتين ، واستردت أنا حقيبتها وأتيت بها هنا . كانت تظن أنهم سيخطفونها منى .

ابتسم المفتش كرادوك وقال : - هذا ما ذكرته لى عندما اتصلت بنا بالتليفون . وسأستقل السيارة واذهب الى لندن لكى أراها فهل تريدين مصاحبتى .

قالت بانسن وهى تفكر : - حسنا .. وأنها لمصادفة حقا ، فأننى أشعر بآلام فى أسنانى منذ الأمس ، ويجب أن أذهب لرؤية الطبيب فى لندن .

قال المفتش كرادوك : - اتفقنا اذن .

* * *

انتقلت عينا مس ماربل من المفتش كرادوك الى بانسن هارمون ، وكانت تبدو على ملامح هذه الأخيرة أمارات اللهفة ، وكانت الحقيبة على المائدة ، وقالت السيدة العجوز

- اننى لم أفتحها بعد .

وأردفت وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة : - لم يخطر لى أن أفتحها قبل أن يأتى أحد الرسميين ، فهى مقفلة بالمفتاح .

قال المفتش : - هل تراهنينى على ما فيها ؟

- أظن أنها تحتوى على ثياب الرقص الخاصة بزبيدة . هل تريد مفكا أيها المفتش؟

وجيئ بالمفك على عجل . وفتحت كل من المرأتين فمها. عندما رفع المفتش غطاء الحقيبة ، فقد سقطت أشعة الشمس المتسللة من النافذة ، وتلألأت على ما يبدو أنه كنز من المجوهرات الحمراء والخضراء والزرقاء والبرتقالية .

وقالت مس ماربل : - قبو علاء الدين .. ! الثوب الزجاجى الذى تلبسه زبيدة وهى ترقص .

قال المفتش كرادوك : - آه . وهل تظنين أن هذا الثوب ثمين لكى يرتكب بعض القوم جريمة قتل للحصول عليه ؟ .

قالت مس ماربل فى تفكير : أظن أن تلك الفتاة كانت ذكية .. أنها ماتت ، أليس كذلك أيها المفتش ؟

- نعم .. منذ ثلاث سنوات .

وأضافت مس ماربل تقول فى تفكير : - انها كانت تملك ذلك العقد النفيس ، وقد فكت حبات الزمرد وثبتتها هنا على هذا الثوب بحيث يظن الجميع أنها قطع من الزجاج المصنوع ، ثم صنعت نسخة مطابقة له ، وتلك النسخة هى التى سرقت ، وليس من المستغرب عندئذ أن العقد نفسه لم يظهر فى الأسواق أبدا ، ولا ريب أن اللص اكتشف أن الأحجار زائفة .

قالت بانسن : - آه .. وماذا فى هذا المظروف ؟

أخذ المفتش كرادوك المظروف ، وأخرج منه وثيقتين رسميتين ، وقرأ بصوت

مسموع: " شهادة زواج بين والتر أدموند جون ستيفنس ومارى موسى المشهورة باسم زبيدة " .

قالت مس ماربل : - كانا متزوجين اذن ! .

وقالت مس بانسن : - والوثيقة الثانية ؟

- شهادة ميلاد طفلة اسمها جوهرة .

صاحت بانسن : - جوهرة .. فهمت الآن لماذاأقبلا إلىشيبنة كليجورن ، وقد حاول أن يقول لى ذلك ، ونطق باسم جوهرة ، ولكننى حسبته ينطق باسم جوليان .. ان مسز موندى التى كانت تقيم فى كوخ لابرنوم كانت ترعى طفلة وتخلص لها كل الاخلاص . كانت بمثابة الجدة لها .. أننى أتذكر الآن .. وهذه الطفلة تدعى جوهرة . وقع حادث لمسز موندى منذ نحو أسبوع ، وحاولت أنا نفسى أن أعثر على أحد لكى يرعى جوهرة ، فلم أشأ أن يذهبوا بها الى الملجأ . ولا ريب أن أباها عرف بما جرى لمسز موندى وهو فى السجن ، فهرب وذهب الى حيث أخذ الحقيبة ، ولا ريب أنه كان قد عهد بها هو أو زوجته الى تلك الوصيفة . واذا كانت المجوهرات ملكا لهما حقا ، فأننا نستطيع الانفاق من ثمنها على الطفلة الآن .

- نعم . أظن ذلك يا مسز هارمون .. هذا اذا كانت المجوهرات موجودة حقا .

قالت مس ماربل : أوه .. أنها هنا بكل تأكيد .

* * *

قال المحترم هارمون وهو يستقبل زوجته فى ارتياح . الحمد لله انك أتيت . ان مسز بورت أعطيتنى فطائر بالسمك طعمها منفر لكى أفطر بها ولم أشأ أن أجرح شعورها فأخذتها وأعطيتها لتيجلات بيلسر ، ولكن هذه الأخيرة لم تشأ أن تأكلها واضطررت أن تلقى بها أخيرا من النافذة .

قالت بانسن وهى تداعب قطتها : - ان تيجلات بيلسر صعبة الأرضا ، فيما يتعلق

بالسمك الذى تأكله .. أنها قطة مرهفة .

سألها زوجها : - وأسنانك يا عزيزتى .. هل زال الألم ؟

- أوه ، نعم .. أننى أشعر بارتياح كبير الآن .. وقد ذهبت لزيارة العمة جين .

- أه ، وكيف حال هذه الصديقة العزيزة ؟ أظن أن صحتها لا تتدهور .

أجابت بانسن : - أبدا .. أنها على أحسن ما يرام .

وفى صباح اليوم اقتطفت بانسن بعض زهور الأقحوان ، ومضت بها الى الكنيسة . وكانت الشمس تسطع من جديد ، وترسل أشعتها من خلال الألواح الزجاجية وتوقفت بانسن عند سلم الحورص وقالت فى صوت خافت .

- لك أن تطمئن على ابنتك ، فانها ستكون فى أحسن حال . أننى سأعنى بها وأعدك بذلك .

ثم رتبت الزهور فى الآنية الخاصة بها وعادت الى بيتها .

تمت بحمد الله

مجموعة قصص
أجاثا كريستى

* القضية المستحيلة
* النظرات القاتلة
* رحلة إلى المجهول
* الحب الذى قتل
* جزيرة المهربين
* المؤامرة الكبرى
* الأفعى
* جريمة مثلثة
* أبواب القدر
* المتهمة البريئة
* مغامرات بوارو
* التضحية الكبرى
* جريمة فوق السحاب
* جريمة فى العراق
* الساحرة
* اللغز المثير
* سر التوأمين
* اختطاف رئيس الوزراء
* العميل السرى
* سر الجريمة
* القضية الكبرى
* الجريمة الكاملة
* قتيل فى المترو
* ذكريات
* أدلة الجريمة
* القاتل الغامض
* الرسائل السوداء
* عدالة السماء
* المتهم الصامت
* الذئب
* شرخ فى المرآة
* زملاء الشر
* المغامر
* لغز البارباان
* المطاردة القاتلة
* لغز اختفاء المليونير
* الضحية الثالثة
* الصوت الغامض
* القناع الزائف
* الحلم الرهيب
* رجل بلا قلب
* صرخة فى الليل
* خيوط العنكبوت
* تحدى العظماء الأربعة
* جريمة فى البحر
* المرآة الغامضة
* لغز الألغاز
* الرجل الخفى
* وجها لوجه
* جريمة الكوخ
* كأس السم
* الرعب القاتل
* دائرة الخطر
* الغرفة السرية
* الشبح القاتل
* رجل يتحدى بوارو
* سر المرأة المقنعة
* الجريمة المعقدة
* الرصاصة الأخيرة
* الشاهدة الوحيدة
* الماسة العجيبة
* بيت الأسرار
* شبح من الماضى
* الساحرات الثلاث
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدوجة
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمية
* ساعة الصفر
* جريمة فى قطار الشرق
* جزيرة الموت
* المسدس
* جريمة القصر
* اغتيال الورود
* الزائر الغامض
* الخدعة الكبرى
* اعلان عن جريمة
* الانتقام الرهيب

